

نُزُولُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَارِيخُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

إعداد

د. محمد عمر حموي

مدير مركز الدراسات القرآنية
بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة

خطة البحث

- (أ) من مقتضيات النزول .
- (ب) التعريف بالقرآن الكريم، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ وقد تحدى القرآن الكريم بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصرفوا عنه، ورد قول من قال بالصرفة .
- (ج) التعريف بعلوم القرآن الكريم فناً مستقلاً، ومتى ظهر هذا الاصطلاح؟
- (د) نزول القرآن الكريم .
- ١ - متى بدأ النزول، وكم كانت مدة النزول؟
 - ٢ - ما المراد بالنزول، وكيف كان يتلقى جبريل الوحي من الله؟
 - ٣ - وكم نزولاً للقرآن؟
 - ٤ - كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل عليه السلام؟
 - ٥ - هل نزل شيء من القرآن على النبي ﷺ إلهاماً أو مناماً؟
 - ٦ - نزول القرآن جملة إلى سماء الدنيا .
 - ٧ - نزول القرآن مفزقاً .
 - ٨ - حكم التدرج في النزول .
 - ٩ - نزول القرآن على سبعة أحرف .
 - أ - أرجح الأقوال في معناها .

- ب - الحكمة في كونه نزل على سبعة أحرف .
- ١٠ - أسباب النزول .
- أ - تعريف السبب .
- ب - العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
- ١١ - أول ما نزل من القرآن الكريم .
- أ - أوائل مطلقة .
- ب - أوائل مقيدة .
- ١٢ - آخر ما نزل من القرآن الكريم .
- أ - أواخر مطلقة .
- ب - أواخر مقيدة .
- ١٣ - ما يترتب على معرفة أول ما نزل، وآخر ما نزل من الأحكام والفوائد .
- ١٤ - الخاتمة وفيها بعض النتائج التي توصل إليها الباحث، واقتراح يقترحه .
- ١٥ - فهرس المراجع .
- ١٦ - فهرس الموضوعات .

المقدمة:

من مقتضيات النزول

إن ما يسمى بعلوم القرآن الكريم مندرج تحت نزول القرآن الكريم ولازم له، وعليه فلا بد من الإمام في الأسطر التالية بالأمور التالية إجمالاً من غير تفصيل في الدقائق، فذلك شأن الموضوعات الخاصة بالنزول الذي هو موضوع البحث.

اعلم أن الأمة اعتنت بنص القرآن الكريم وحفظه، وعلى رأس الأمة نبينا محمد ﷺ فقد بلغ من عنايته بالقرآن الكريم وحرصه على حفظه أن كان يعاجل جبريل حين يقرئه القرآن حتى أنزل الله عليه: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة: ١٦-١٩) وأنزل عليه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفُظُونَ﴾ (الحجر: ٩) فعندئذ اطمأن الرسول ﷺ على القرآن وكان جبريل يعارض الرسول ﷺ القرآن في كل سنة، وعارضه القرآن في سنته التي توفي فيها مرتين. وكان صلى الله عليه وسلم يعتني بكتابة القرآن الكريم فكان له كتبة يكتبون القرآن الكريم، يقول لهم: ضعوا آية كذا في مكان كذا من السورة كذا، وكتب القرآن كله في حياته ﷺ في الرقاع واللخاف بإقراره ﷺ. ومما يدل على عناية المسلمين بالقرآن الكريم أنه حفظه منهم في عهد النبي ﷺ عدد لا بأس به، ثم تابع

الحفظ بعد ذلك حتى قيل إنه قتل يوم بئر معونة سبعون من القراء .
ومن مظاهر العناية : به أنه لما استحرّ القتل في الحفظة عمد أبو بكر
إلى جمعه في مكان واحد في الصحف ، واحتاط لذلك الجمع ، حيث
ألف نخبة من الحفظة ، على رأسهم زيد بن ثابت ، الذي كان كاتب
الوحي في حياة النبي ﷺ ، وقد كان أمير المؤمنين أبو بكر الصديق
موفقاً في هذا الجمع ، ثم بعد هذا الجمع ظلت الصحف عند أمير
المؤمنين أبي بكر في خلافته ثم بعد وفاته انتقلت إلى أمير المؤمنين عمر ،
ثم بعد وفاته كانت عند حفصة رضي الله عنها حتى كانت خلافة
أمير المؤمنين عثمان فحصل في زمن عثمان اختلاف بين القراء في
الأمصار ، فكان من توفيق الله أن جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان
الصحابة ، وعرض عليهم اختلاف القراء في الأمصار وفي المدينة ، وكان
رأيه أن يجمع القرآن في مصحف واحد ، فوافقه الصحابة بالإجماع
على ذلك ، فأرسل إلى حفصة وأخذ منها الصحف ، وجمع القرآن في
مصحف واحد ووزعه على الأمصار ، فكان بذلك موفقاً حيث أدرك
الناس قبل أن يختلفوا .

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند المسلمين : أنهم حرروا
القراءات وفرقوا بين المتواتر والشاذ ، وجعلوا قواعد لا يثبت القرآن إلا
بها وهي :

أولاً : الإسناد المتصل للقراءة في كل طبقة .

ثانياً : موافقة القراءة لوجه نحوي .

ثالثاً: أن يحتملها الرسم العثماني .

وكل قراءة لا تتوفر فيها هذه الشروط، عدّها العلماء شاذة ولا تسمى قرآناً، ولا تجوز القراءة بها^(١) .

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناده هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وحيث ما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة

ومن مظاهر العناية بالقرآن الكريم عند هذه الأمة: أنه لا بد فيه من التلقي مشافهة، تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام شفاهاً، وتلقاه الصحابة الأثبات العدول من النبي ﷺ، ثم تلقاه التابعون الأخيار من الصحابة كذلك، ثم تلقاه أتباع التابعين من التابعين كذلك، إلى أن وصل إلينا غصاً طرياً كما أنزل، فالقراءة سنة متبعة لا مدخل للقياس فيها، والاعتماد فيها على التلقي والتواتر.

وقد اعتنى المسلمون بالقرآن عناية فائقة، حيث ألّفوا في كل جزء منه، فرقوا بين مكيه ومدنيه، وعرفوا مكيه بأنه ما نزل قبل الهجرة، كما عرفوا المدني بأنه ما نزل بعد الهجرة، هذا التعريف المختار، ومع تعريف المكي والمدني، فقد جمعوا المكي، وميزوه دون المدني، وكل ذلك عناية بالقرآن الكريم.

كما اعتنوا بسور القرآن الكريم وآياته، وذكروا أن ترتيب الآيات

(١) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٧ .

توقيفي من النبي ﷺ كما هو الآن، وأما ترتيب السور ففيه خلاف بينهم^(١)، كما ألفوا في أسماء السور، وعدد الآيات.

ومن هذه العناية الدقيقة: اعتناؤهم برسمه الذي رسم به في زمن النبي ﷺ وبإقراره، وأجمع عليه الصحابة بعد ذلك في زمن عثمان، وذهب الكثير من العلماء إلى أن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، حتى إن بعضهم كان يرى أن تكتب الكتابات الأخرى كما كتب القرآن على رسمه وعلى نمطه.

وخلاصة القول أن العلماء لم يتركوا شيئاً يتعلق بالقرآن الكريم إلا وكتبوا فيه مثل ناسخه ومنسوخه، وأقسامه، ومطلقه ومجمله، ولما كان هذا البحث الذي كلفنا بالكتابة فيه، تحت عنوان "نزول القرآن" اخترنا الكتابة فيما له صلة وثيقة بالنزول.

(١) تناسق الدرر في تناسب السور ١/ ٥٦ .

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم

التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، وقد تحدى القرآنُ بأساليب متنوعة، وكونه معجزاً بألفاظه ومعانيه، وأن الناس لم يُصرفوا عنه، والردُّ على من قال بالصرفة.

اعلم أن تعريف القرآن الكريم: هو كلام الله المنزَّل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، وقد عرفه صاحب المراقي في ألفيته بقوله ^(١):

لفظ منزل على محمد لأجل الإعجاز وللتعبد ^(٢)

ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته ^(٣) فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول: إنه يقرأ القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة؛

(١) ٩٧/١، تحقيق د/ مختار محمد الأمين.

(٢) (القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر) شرح العقيدة الطحاوية (طبع مؤسسة الرسالة) ١٧٢/١ اللجنة العلمية.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ٢٠-٢١.

لأن المعجزات على ضربين : الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ . والثاني : ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله واستفاضت بثبوته ووجوده ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجماً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي ﷺ، قال القرطبي (١) : "لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خلفاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه الصلاة والسلام، المعلوم وجوده بالضرورة وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، مع أن معجزة كل نبي انقرضت بانقراضه أو دخلها التبديل كالتوراة والإنجيل، فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت : إن النبي ﷺ تقوله أنزل الله تحدياً لهم قوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٢) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٧٢ .

مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ (الطور : ٣٣-٣٤) ثم تحدّاهم وأنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ (هود : ١٣) . فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار إلى مثل سورة من السور القصار فقال جل ذكره : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (البقرة : ٢٣) . فأفحموا عن الجواب وتقطعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعناد وآثروا سبي الحریم والأولاد، ولو قدروا على المعارضة لكان أهون كثيراً وأبلغ في الحجة وأشد تأثيراً مع كونهم أرباب البلاغة وعنهم تؤخذ الفصاحة .

واعلم أن القرآن نفسه هو المعجز بألفاظه ومعانيه ؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، وما قاله النظام ومن على شاكلته من أن وجه الإعجاز في القرآن هو أنهم منعوا منه وصرفوا عنه قول فاسد ؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصرفه هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع .

هذا وقد ذكر العلماء أوجهاً كثيرة للإعجاز نلخص منها ما يأتي بإيجاز :

- ١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب ؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال ربّ العزة الذي تولى نظمه : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ (يس : ٦٩) . وفي صحيح مسلم :

أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله. قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر^١ وكان أنيس أحد الشعراء. قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر^(١) فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون^(٢).

٢- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

٣- الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال^(٣)، قال القرطبي: وتأمل ذلك في سورة ق والقرآن المجيد إلى آخرها وقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) إلى آخر السورة، وكذا قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم: ٤٢) إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٦) ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ (الرعد: ١٣).

٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف

(١) أقراء الشعر: أنواعه وطرقه وبحوره وأنحائه.

(٢) مسلم رقم ٢٤٧٣، البخاري رقم ٣٥٢٢، أحمد رقم ٢١٠١٥.

(٣) انظر: البرهان ٢/ ٢١٨-٢٥١ الإتيان ٤/ ٣-٢٣، المحرر الوجيز ١/ ٣٨، النكت

في إعجاز القرآن ١٠٣، ١٠٤.

مَوْضِعُهُ .

٥- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، مع أنه أخذ بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، وذكر ما سألته أهل الكتاب عنه، وتحذوه به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين.

٦- الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣) وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١).

٧- الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣) ففعل ذلك، وكان أبو بكر إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً.

٨- ما تضمنه القرآن الكريم من العلم الذي هو قوام جميع الأنام في

الحلال والحرام وسائر الأحكام .

٩- التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف .

قال تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ٨٢) .

١٠- الحكم الكثيرة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها
وشرفها من آدمي .

التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح

هو علم ذو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك من المباحث التي تذكر في هذا العلم^(١)، وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول العلوم التي لا بد للمفسر منها^(٢).

وأول ظهور هذا المصطلح لعلوم القرآن فناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى ٤٣٠هـ في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، ثم تبعه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ في كتابه "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن"، ثم جاء بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ بكتاب "وافية سماه" البرهان في علوم القرآن" ثم جاء البلقيني المتوفى سنة ٨٢٤هـ فألف كتابه "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، ثم جاء خاتمة الحفاظ وفارس الميدان جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بكتاب "الإتقان في علوم القرآن"، وصار الناس بعده عيالاً عليه، كلُّ يأخذ منه، والبعض يلخص والبعض يختصر.

(١) المدخل ٢٥/١ وما بعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١٦/١.

وقد نشط التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث مثل كتاب مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن، (والنبا العظيم) للدكتور محمد عبدالله دراز، وكتاب الشيخ طاهر الجزائري (التبيان في علوم القرآن)، وكتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، وكتاب (المدخل في علوم القرآن) لشيخنا الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبه رحمه الله، وكتاب (مباحث في علوم القرآن) للشيخ مناع القطان رحمه الله، إلى غير ذلك من التأليف الكثيرة في هذا العصر.

متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول؟

إن بحث نزول القرآن وتاريخ نزوله، لمن أهم المباحث؛ إذ به تعرف تنزلات القرآن الكريم، ومتى نزل، وكيف نزل، وعلى من نزل وكيف كان يتلقاه جبريل من الله تبارك وتعالى؟ ولا شك أن العلم بذلك يتوقف على كمال الإيمان، بأن القرآن من عند الله، وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ، كما أن كثيراً من المباحث التي تذكر في هذا الفن يتوقف على العلم بنزوله، فهو كالأصل بالنسبة لغيره.

أنزل الله القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان نزوله حدثاً جليلاً مؤذناً بمكانة النبي ﷺ عند أهل السماء والأرض.

فإنزاله الأول في ليلة القدر نبه العالم العلوي على شرف هذه الأمة، وأنها القائدة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فقد مدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينها لإنزال القرآن العظيم فيه، قال ابن كثير^(١): "وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء".

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠٩/١.

قال الإمام أحمد بن حنبل^(١) - رحمه الله - : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة - يعني ابن الأسقع - أن رسول الله ﷺ قال : " أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان " .

وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه أن الزبور أنزل لثنتي عشرة خلت من رمضان والإنجيل لثماني عشرة والباقي كما تقدم . رواه ابن مردويه^(٢) .

أما الصحف والتوراة والزبور والإنجيل فنزل كل منها على النبي الذي أنزل عليه جملة واحدة، وأما القرآن فكان نزوله الأول جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، كما تدل عليه الآيات : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ...﴾ (البقرة : ١٨٥) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ (الدخان : ٣) .

أما تاريخ نزول القرآن منجماً وهو النزول الثاني، فقد كان بعد الأربعين من عمره ﷺ حينما بعث في يوم الاثنين وكان أول ما نزل عليه صدر سورة اقرأ كما ذكر ذلك محققو أهل العلم من أهل التفسير والحديث والسير، قال العلامة الفاسي في نظمه "قرة الأبصار في سيرة

(١) المسند ٤ / ١٠٧، الطبراني في الكبير ٢٢ / ٧٥، والبيهقي في شعب الإيمان :

٤١٤ / ٢ .

(٢) ابن كثير ١ / ٢١٧، قال : رواه ابن مردويه .

المشقق المختار^(١):

بيان مبعث النبي الهادي	صلى عليه خالق العباد
وجاءه جبريل في غار حرا	من بعد أربعين عاما غربا
في يوم الاثنين بسورة العلق	صلى عليه الله فالتق الفلق
فقام يدعو الإنس والجن إلى	توحيد رب العالمين مرسلا
مؤيداً منه بما أعيا البشر	إحصاءه من معجزات كالمطر
نفعاً وكثرة وكالسراج	نورا ورفعة مع ابتهجاج
ومع ذا حاصره الفجّار	كما أتت بذلك الأخبار
وكان قادرا على التدمير	لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء	منهم ومن أصلا بهم أبناء
ثم أعز دينه ونصره	وأيد الحق به وأظهره

قال في الإتقان^(٢):

"أما إنزاله الثاني مفرقاً على حسب الوقائع خلافاً لما كان معهوداً عندهم في الكتب السابقة فقد أثار الضجة عند القوم حتى حملهم على المحادة والمساءلة حتى ظهر لهم الحق فيما بعد من أسرار الحكم الإلهية في إنزاله مُنَجِّماً على حسب الوقائع حتى أكمل الله الدين".

هذا وقد يظن البعض أن الآيات من قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ

(١) مخطوطة، منظومة في السيرة ص ٣.

(٢) ١١٦/١.

أَلْقُرْآنُ ﴿ (البقرة: ١٨٥) الآية، وقوله: ﴿حَمْدٌ ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿ (الدخان: ١-٣) الآية، وقوله: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿ (القدر: ١) . بينها تعارض، والواقع أنه لا تعارض بينها، فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان، وإنما يتعارض ظاهرها مع الواقع العملي في حياة الرسول ﷺ؛ لأن القرآن نزل عليه خلال ثلاث وعشرين سنة .

وقد روي من غير وجه عن ابن عباس كما قال إسرائيل عن السدي عن محمد بن أبي المجالد عن مقسم عن ابن عباس أنه سأل عطيبة بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك من قول الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿ وقد أنزل في شوال وذي القعدة وفي ذي الحجة والمحرم، وصفر وشهر ربيع .

المذهب الأول: فقال ابن عباس وجمهور العلماء: إن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث، نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، تعظيماً لشأنه عند الملائكة، ثم أنزل بعد ذلك منجماً على مواقع النجوم ترتيباً في الشهور والأيام في ثلاث وعشرين سنة، حسب الوقائع والأحداث منذ بعثه ﷺ إلى أن توفي حيث أقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين، وهذا المذهب هو الذي جاءت به الأخبار الصحيحة عن ابن عباس في عدة روايات، منها:

١- عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا^(١) ليلة

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٤٢ رقم ٢٨٧٨، والبيهقي ٤/ ٣٠٦ .

القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٣). وقوله: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء: ١٠٦).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ.

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه إثر بعض^(١).

٤- وعنه قال: أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوماً "رواه الطبراني".

المذهب الثاني: هو المروي عن الشعبي أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ، فقد ابتداء نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجاً مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة.

قال: فليس للقرآن إلا نزول واحد هو نزوله منجماً على رسول الله ﷺ؛ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي وابن الملقن وصححه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٦٢٠ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٣١.

النَّاسِ عَلَىٰ مَكْثٍ ﴿١٠٦﴾ (الاسراء: ١٠٦)، ولهذا جادل فيه المشركون لكون الكتب السماوية نقل إليهم نزولها جملة، واحدة قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٢-٣٣).

قال: ولا يظهر للبشرية مزية لشهر رمضان وليلة القدر التي هي الليلة المباركة إلا إذا كان المراد بالآيات الثلاث نزول القرآن على رسول الله ﷺ وهذا يوافق ما جاء في قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجُمُعَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١). وقد كانت غزوة بدر في رمضان، ويؤيد هذا ما عليه المحققون في حديث بدء الوحي.

عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" (١). فالحققون على أن رسول الله ﷺ نبى أولاً بالرؤيا في الشهر الذي ولد فيه وهو شهر ربيع الأول، وكانت المدة بين الرؤيا والوحي إليه يقظة ستة أشهر ثم أوحى إليه يقظة بـ ﴿أَقْرَأْ﴾.

قال الشيخ مناع القطان رحمه الله (٢): "وبهذا تتآزر النصوص على معنى واحد".

(١) رواه البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم كتاب الإيمان ١٦٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ١٠٠ وما بعدها.

المذهب الثالث : يرى أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر، في كل ليلة منها ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، وهذا القدر الذي ينزل في ليلة القدر إلى السماء الدنيا لسنة كاملة ينزل بعد ذلك منجماً على رسول ﷺ في جميع السنة .

ولا شك أن هذا المذهب اجتهد من بعض المفسرين؛ فليس هناك ما يدل عليه، أما المذهب الثاني فإنه لا تعارض بينه وبين المذهب الأول الذي هو مذهب ابن عباس والجمهور .

فالأرجح أن القرآن الكريم له تنزّلان، كما علمت :

الأول : نزوله إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة .

وقد نقل القرطبي^(١) الإجماع على هذا النزول عن مقاتل بن حيان، ومن قال بقوله : الحليمي والماوردي^(٢) .

الثاني : نزوله من السماء الدنيا مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة .

(١) ٢٩٧/٢ .

(٢) الإيتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١١٦ .

الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء

١ - تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم. قال السيوطي نقلاً عن أبي شامة في المرشد الوجيز: "لولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها فجعل له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقاً تشریفاً للمنزل عليه" (١).

٢ - وقال السخاوي في جمال القراء: "نزوله إلى السماء الدنيا جملة تكريم لبني آدم وتعظيم لشأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله بهم ورحمته لهم".

والقرآن بالاستقراء كان ينزل حسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وصح نزول عشر آيات في قصة الإفك جملة، ونزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون جملة، كما صح نزول: ﴿غَيْرُأُولِي الضَّرَرِ﴾ وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ إلى آخر الآيات. ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري (٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار،

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/ ١١٦ وما بعدها، مباحث في علوم القرآن، ص ١٠٠

فما بعدها، المدخل في علوم القرآن ص ٥٨، فما بعدها.

(٢) رقم ٤٩٩٣ في كتاب الفضائل.

حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء :
لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: "لا تزنوا": لقالوا
لا ندع الزنى أبداً.

اعلم أن القرآن الكريم له وجودات ثلاثة:

١ - وجوده في اللوح المحفوظ.

٢ - وجوده في السماء الدنيا.

٣ - وجوده في الأرض، بنزوله على النبي ﷺ، ولم يقترن النزول إلا
بالوجود الثاني والثالث؛ وقد دل القرآن الكريم أنه كان قبل نزوله في اللوح
المحفوظ؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾﴾
(البروج: ٢١-٢٢).

وهذا اللوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾
(الواقعة: ٧٧-٨٠) والذي عليه جمهور المفسرين أن الكتاب المكنون
هو اللوح المحفوظ، واللوحة المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه
في الأزل كل ما كان وكل ما يكون، والواجب علينا أن نؤمن به وأنه
موجود ثابت، أما البحث فيما وراء ذلك فلسنا مطالبين به.

أما كيف كان جبريل يتلقى الوحي؟ فلا يركن إلى شيء مما قيل في
ذلك إلا ما أوماً له الدليل، وأولى قول في هذا المجال هو ما ذكره البيهقي
في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ قال: يريد والله أعلم "إنا

أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع، وهذا القول يشهد له ما رواه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: "إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوحيه بما أراد فينتهي به حيث أمر". والحديث وإن لم يكن نصاً في القرآن إلا أن الوحي يشمل وحي القرآن وغيره^(١).

أما قول من قال إن جبريل أخذ القرآن من الكتاب، لم يسمعه من الله، فهذا قول باطل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) وقد أخبر تعالى بأنه منزل منه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١١٤) وقال تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فصلت: ١-٢) وقال تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنزِيلٌ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الأحقاف: ١-٢). فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله ﷺ من البشر والله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس. وكلاهما مبلغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): "وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل

(١) المدخل ١/ ٢٥٥، الإتيقان ١/ ٤٥، مباحث في علوم القرآن ج ١، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٢) الفتاوى ١٢/ ١٢٧ فما بعدها.

(٣) الفتاوى ١٢/ ٢٦٠.

ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء، كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتالين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه".

قال الإمام السيوطي^(١): "قال الجويني: كلام الله المنزل قسمان:

أ - قسم قال الله لجبريل قل للنبي ﷺ - الذي أنت مرسل إليه إن الله يقول افعل كذا وكذا، ففهم جبريل ما قاله ربه، ثم نزل على النبي ﷺ وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول الملك لمن يثق به: قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة، واجمع جندك للقتال. فإن قال الرسول بقول الملك لا تتهاون في خدمته ولا تترك الجند تتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة.

ب - قسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ويقول له اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً".

قال السيوطي: "القرآن هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السنة، وقد ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن قال: ولهذا جازت رواية السنة بالمعنى بخلاف القرآن الكريم فإنه نزل جبريل بألفاظه ومعانيه فلا تجوز روايته بالمعنى. والسرف في ذلك أن القرآن

(١) الإتيقان ١/ ١٢٨ .

يقصد التعبد بالفاظه وهو كذلك معجز فلا يمكن لأحد مَهَمًا أوتي من
البلاغة والفصاحة أن يأتي بلفظ يقوم مقامه .

كما أن فيه تخفيفاً على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين :
قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما
يروى باللفظ لشق ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل . قال صاحب
المدخل^(١) : " وكذلك ليس للنبي ﷺ في القرآن شيء إلا مجرد التبليغ
فقط وهذا هو الحق الذي يجب على كل مسلم أن يعتقد ويؤمن به " .

قال : " ولا يلتفت إلى ما زعمه بعض من يهرف بما لا يعرف ، أو من
يفتري ويختلق من أن جبريل أوحى إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ
الدالة على المعاني بلغة العرب ، ثم نزل على النبي ﷺ كذلك أو أن
جبريل أوحى إلى النبي ﷺ المعنى وأن النبي ﷺ عبر عن هذه المعاني
بلفظ من عنده . فهذا القول زعم وخرص لم تقم عليه أثارة من علم .

وهو خلاف ما تواتر عليه القرآن والسنة ، وانعقد عليه إجماع الأمة
من أن القرآن لفظه ومعناه كلام الله ومن عند الله منه بدأ وإليه يعود " .
إلى أن قال : " وهذا الزعم لا يقول به إلا جاهل استولى الجهل والغفلة
عليه ، أو زنديق قد يدس في الدين والعلم ما ليس منه " .

ولا يغتر بوجوده في بعض الكتب الإسلامية ، فأغلب الظن أنه
مدسوس على الإسلام والمسلمين . هذا وقد بلغ النبي ﷺ القرآن الكريم

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ٦٢/١ .

من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لشيء منه ولا كتمان له، ولو كان
 كاتماً شيئاً [حاشاه من ذلك] لكتبتم تبليغ الآيات التي عوتب فيها
 ويكفي أن تقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقوله: ﴿وَإِذَا
 تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ
 قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
 رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: ١٥)، وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦ ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ٤٧
 (الحاقة: ٤٤-٤٧).

كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل؟

١- أحياناً يأتي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صفة رجل من البشر وكان كثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي .

٢- وأحياناً يأتي ولا يراه الحاضرون، وقد يسمعون له دويماً وصلصلة كصلصلة الجرس .

ودل على هاتين الحالتين من الوحي ما رواه البخاري في صحيحه^(١) بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت منه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول..." الحديث .

هذا والقرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحى به في اليقظة وحيّاً جلياً^(٢) .

(١) البخاري رقم ٢ كتاب بدء الوحي، ومسلم رقم ٢٣٣٣ .

(٢) المدخل ٥٨/١ .

نزول القرآن مفروقاً (منجماً)

قال تعالى: ﴿وَلَنُنَزِّلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥). وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠٢). ويقول تعالى: ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (الجاثية: ١-٣). وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٣). وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجَبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧). فهذه الآيات ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله ﷺ، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجماً، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يفرقون بين الإنزال والتنزيل فالتنزيل لما نزل مفروقاً، والإنزال أعم^(١).

فقد نزل القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة، ثلاث عشرة بمكة على القول الراجح، وعشر بالمدينة المنورة.

ومن الأدلة على نزول القرآن مفروقاً قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى

(١) المفردات للراغب ٧٩٩، مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠.

النَّاسِ عَلَى مُكِّثٍ وَنَزَّلَتْهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ (الإسراء: ١٠٦). والمعنى: جعلنا نزوله مفرقاً كي تقرأه على الناس على مهل وتثبت، ونزلناه تنزيلاً بحسب الوقائع والأحداث^(١).

قال الزرقاني في مناهل العرفان^(٢): "وفي تعدد النزول وأماكنه، مرة في اللوح وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ، في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن الكريم، وزيادة للإيمان؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به مما لو سجل في سجل واحد، أو كان له وجود واحد".

(١) ابن جرير الطبري جامع البيان ٨٤/٢، فما بعدها، تفسير أبي السعود ٣١٥/١.

(٢) ٤٧/١.

نزول الكتب السماوية الأخرى

الصحيح المشهور بين العلماء أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة ولم تنزل متفرقة، ومن الأدلة على ذلك آية الفرقان، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝﴾ (الفرقان: ٣٢).

فهذه الآية دليل على أن الكتب السماوية غير القرآن نزلت جملة واحدة كما على ذلك جمهور العلماء.

ووجه الدلالة أن الله لم يكذبهم في دعواهم أن الكتب السماوية نزلت جملة واحدة - فلو كان نزول الكتب السماوية مفروقاً لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن مفروقاً منجماً؛ لأن معنى قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هلاً أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب، وما له أنزل على التنجيم ولم ينزل مجموعاً؟، بل بين لهم الحكمة من نزول القرآن منجماً. ولو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن يقول لهم: إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل كما أجاب بمثل ذلك في قولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧) قال في الرد عليهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴿٢٠﴾ (الفرقان: ٢٠). فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ سَنَنَ الْمُرْسَلِينَ
وَالْأَنْبِيَاءِ^(١).

(١) الإِتْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ ١/١١٦، المَدْخُلُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ ١/٥٥، مَبَاحِثُ فِي عِلْمِ
الْقُرْآنِ، ١/١٠٠ فَمَا بَعْدَهَا، ابْنُ كَثِيرٍ ١/٣٠٩.

الحكم التي تستفاد من نزول القرآن مفرقاً منجماً

لا شك أن في نزول القرآن منجماً -مفرقاً- على حسب الوقائع والأحداث حكماً وأسراراً عظيمة، كيف وذلك التنجيم ممن أنزل القرآن وهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤). يعلم سبحانه المنهج الصالح لتربية الأمة، المنهج الذي يجعلها أمةً منقادة لأوامر الله، منتهية عن مساخطه.

ونلخص هنا بعض الحكم التي ذكرها العلماء والباحثون في هذا المجال:

١- الحكمة الأولى: تثبت فؤاد النبي ﷺ وتطمين خاطره وقلبه. وقد أشار الحق تبارك وتعالى إلى هذه الحكمة في قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: ٣٢). ويندرج تحت هذه الحكمة كثير.

لقد وجه رسول الله ﷺ دعوته إلى الناس فوجد منهم نفوراً شديداً وقلوباً قاسية، قابله قومه بقلوب قاسية فطرت على الأذى، وقابلوه بصنوف الأذى والشتم مع رغبته الصادقة وسعيه المشكور في إيصال الخير الذي جاء به إليهم حتى قال الله تعالى في حقه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦) فكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ فترة بعد فترة ليثبت فؤاده على الحق

ويقوي عزمه على المضى في الخير.

وقد بين الله أن سنته في أنبيائه السابقين أنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتى جاءهم نصر الله، وبين كذلك أن قومه ما كذبوه إلا استكباراً وعلواً، ورداً للحق، فيجد الرسول ﷺ في ذلك تسلية له، قال تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمَ إِنَّهُ يَمُوزُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٣). وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الأنعام: ٣٤). وقال جلّ وعلا: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (آل عمران: ١٨٤)، ونجد القرآن يأمره بالصبر في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فكلما اشتد ألم رسول الله ﷺ بسبب تكذيب قومه وداخله الحزن لأذاهم، نزل القرآن دعماً وتسلية له عما يعانيه من قومه، فهدد المشركين المكذبين بأنه يعلم أحوالهم وسيجازيهم بما يستحقون، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَخْزِنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (سورة يس: ٧٦)، وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة: ٦٧). وقال: ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (الفتح: ٣)، وقال: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (المجادلة: ٢١). وأحياناً تنزل الآيات بوعيد المكذبين للأنبياء كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٧) أو أمِّن أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن

يَأْتِيَهُمْ بِأَسْوَاطٍ مَعْنَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ (الأعراف: ٩٧ - ٩٨).

وآونة تنزل الآية بالبراهين والحجج الدامغة في الرد عليهم فيما يتمسكون به من شبه واهية، كآليات الواردة في إثبات توحيده وصفاته، واستحقاقه للعبادة وإثبات البعث والحشر، وكان من ثمرة هذا التثبيت أن أبدى النبي ﷺ غاية الثبات والشجاعة والوثوق بالله في أخرج المواقف وأشدها هولاً. انظر إلى قوله للصديق في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

وهكذا كانت آيات القرآن تنزل على رسول الله ﷺ تبعاً تسليية له بعد تسليية، وعزاء حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلاً.

٢ - من الحكم البارزة: تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه على النبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ حريصاً على ذلك غاية الحرص، حتى إنه كان يعاجل جبريل ولا ينتظره حتى يفرغ حتى أنزل الله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤). وقال تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ (القيامة: ١٦ - ١٩).

هذا وإن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف الكتابة ولا القراءة وكانت ذاكرتها وحفظها هما السجل لها، لا دراية لها بالكتابة حتى تكتب وتدون ثم تحفظ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو

عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾
 (الجمعة: ٢). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
 مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فلو نزل القرآن جملة واحدة على هذه الأمة الأمية التي لا تعرف
 الكتابة ولا التدوين لم يصح لها أن تحفظ القرآن كله بيسر، وكان نزوله
 مفزقاً أكبر عون لها على حفظه في صدورهم وفهمها لآياته.

كلما نزلت الآية فهمها الصحابة، وتدبروا معانيها، وقد كان هذا
 منهجاً لحفظ القرآن في عهد التابعين.

عن أبي نضرة قال: "كان أبو سعيد الخدري يعلمنا القرآن خمس
 آيات بالغداة وخمس آيات بالعشي، ونجد أن جبريل نزل بالقرآن
 خمس آيات خمس آيات". أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعن
 خالد بن دينار قال: "قال لنا أبو العالية: تعلموا القرآن خمس آيات
 خمس آيات؛ فإن النبي ﷺ كان يأخذه من جبريل خمساً" أخرجه
 البيهقي^(١).

٣- من الحكم كذلك: التدرج في تربية الأمة دينياً وخلقياً
 واجتماعياً وعقيدة وعلماً وعملاً، وهذه الحكمة أشار إليها القرآن في
 قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

لقد تدرج القرآن الكريم في انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة

(١) الإتيان ١/ ١١٦ وما بعدها . مباحث في علوم القرآن ١/ ١٠٠ فما بعدها .

والمنكرات الماحقة، فقد بعث النبي ﷺ إلى قوم يعبدون الأصنام ويشركون بالله، ويسفكون الدماء، ويعدون البنات ويشربون الخمر ويقتلون النفس لأتفه الأسباب، ويفعلون القبائح، ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما ألفته وتعودته مرة واحدة كما يصعب رجوعها وإقلاعها عما اعتقدته بمجرد النهي عنه. فللعقائد والعادات سلطان على النفوس، والناس أسراء ما ألفوا ونشأوا عليه، فلو أن القرآن نزل جملة واحدة، وطالب بالتخلي عما هم منغمسون فيه من الكفر والجهل والمنكرات مرة واحدة لما استجاب إليه أحد.

لذلك اقتضت حكمة الله أن يتدرج القرآن في انتزاع العقائد الفاسدة فينهى أولاً عن عبادة غير الله، فإذا ما أقلعوا عنها أخذ في النهي عن منكر آخر، وهكذا تدرج القرآن معهم في انتزاع المنكر الواحد كما حدث في تحريم الخمر فقد نزل فيه أول ما نزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ٢١٩) فشربها قوم وتركها آخرون، ثم إن بعض المسلمين صنع طعاماً ودعا أصحابه فأكلوا وشربوا ثم قام أحدهم ليصلي بهم فقراً: قل يا أيها الكافرون فخلط فيها ونقص وزاد، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: ٤٣).

فكانوا بعد ذلك يتركونها عند الصلوات وفي الأوقات القريبة منها حتى لا يقعوا في مثل هذا الخلط، وبذلك صار من السهل تحريمها تحريماً

باتاً، فقد صنع بعض المسلمين طعاماً فأكلوا وشربوا حتى لعبت الخمر برؤوسهم فتناشدوا الأشعار فتشاجروا حتى شج أحدهم رأس الآخر، فقال الفاروق عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فحرمها الله بعد ذلك تحريماً باتاً حيث أنزل فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١) فقال عمر: انتهينا. فمن ثم اقتضت الحكمة نزول القرآن مفرقاً^(١).

من الحكم كذلك: التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة.

فقد أمر القرآن أولاً بالإيمان بالله وصفاته، وعبادته وحده، حتى إذا ما آمنوا بالله دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم بالإيمان بالرسول والملائكة حتى إذا ما اطمأنت قلوبهم بالإيمان، وأشربوا حبه، سهل عليهم بعد ذلك تقبل الأوامر، والتشريعات التفصيلية والأحكام العملية والفضائل والآداب العالية، فأمروا بالصلاة والصدق والعفاف، ثم بالزكاة ثم بالصوم، ثم بالحج، كما بينت أحكام النكاح، والطلاق والرجعة والمعاملات من بيع وشراء وتجارة إلى غير ذلك من المعاملات.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى هذه الحكمة كما

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ٦٩.

في صحيح البخاري^(١) قالت عائشة: إنما نزل من القرآن أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تنزوا لقالوا لا ندع الزنى أبداً.

وقد دل القرآن بهذه السياسة الحكيمة الرشيدة في إصلاح الشعوب وتهذيب أخلاقها على أنه معجز وأنه كلام الله، فما كان لبشر مهما كان ذكاًؤه أن يتوصل إلى هذه الطرق الحكيمة، في الوقت الذي بعث فيه نبينا ﷺ ولكن هذا من صنع العليم الخبير.

٤ - من الحكم كذلك: تثبيت قلوب المؤمنين وتعويدهم الصبر والتحمل بذكر قصص الأنبياء، وما لاقوه وأن العاقبة للمتقين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أُسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ (النور: ٥٥) وكقوله: ﴿الْعَرَبُ أَحْسِبُ النَّاسَ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ١٠) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١٠-١١).

٥ - التحدي والإعجاز: فالمشركون تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة تعجيز وتحديّ يمتحنون بها رسول الله

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٥٦، وما بعدها، صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن رقم الحديث ٤٩٩٣.

ﷺ في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب كعلم الساعة ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ (الأعراف: ١٨٧). وكقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ (سورة الحج: ٤٧). وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل في الإعجاز، وأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان: ٣٢).

ويشير لهذه الحكمة ما جاء في بعض الروايات من حديث ابن عباس عن نزول القرآن فكان المشركون إذا أحدثوا شيئاً أحدث الله لهم جواباً، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس^(١).

قال في المدخل^(٢): "فنزوله منجماً مفرقاً من أقوى الأدلة على أنه معجز وأنه كلام الله، إذ لو أنزله الله جملة واحدة لكانت لهم حجة أن يقولوا: شيء نزل علينا مرة واحدة، فلو نزل علينا مفرقاً لعارضناه، فقطع الله عليهم تلك الحجة فكأنه يقول لهم: إن كنتم تقولون إنه ليس كلام الله، فأتوا بسورة مثله أو بعشر سور، أو آية، فسجل عليهم العجز الأبدي".

ومع نزوله مفرقاً على مدى بضع وعشرين سنة كان غاية في روعة

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها .

(٢) ١/٧٥، الإتيان في علوم القرآن ١/١١٦ وما بعدها، البرهان في علوم القرآن،

مباحث في علوم القرآن، وغير هذه من الكتب التي تتعلق بعلوم القرآن: مناهل العرفان في علوم القرآن ١/٥٣ - ٦٠ .

الأسلوب ورصانة الألفاظ، لاتفافوت فيه، فكان بذلك معجزاً.

٦- من الحكم كذلك: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل

من حكيم حميد.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم نزل مفزقاً على مدى عشرين سنة حسب الوقائع والأحداث، ومع طول هذه الفترة، كانت تنزل منه الآية والآيات الكثيرة، والآيات القليلة على اختلاف الموضوعات ومع ذلك كان أسلوبه أسلوباً واحداً لم يتغير في فصاحته وجزالته وقوته، فأسلوبه واحد، مترابط بعضه ببعض، لا انفكك فيه متناسق الآيات والسور كأنه عقد واحد: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَتُفَصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١) فلو كان من كلام البشر وقد قيل في مناسبات كثيرة، وموضوعات مختلفة متباينة، لوقع فيه التفكك والانفصام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

هذا والحكم التي أخذت من نزول القرآن مفزقاً منجماً كثيرة لا تكاد تحصر، وقد نشرها علماء هذا الفن في كتبهم وقد لخصنا منها ما ذكرنا تلخيصاً، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في الدين وأن يجنبنا الزيف.

الكلام في نزول القرآن على سبعة أحرف

بما أن هذا الموضوع من أخصّ موضوعات نزول القرآن لا بد من التطرق إليه على انفراد بإيجاز، مع العلم أن الموضوع تكلم فيه العلماء قديماً وحديثاً وأكثروا فيه الأقوال، ولا سيما المعنى المراد بكونه نزل على سبعة أحرف، وأنا أتناوله حسب المحاور التالية:

المحور الأول: النصوص الدالة على نزوله على سبعة أحرف:

اعلم أيها القارئ الكريم أن حديث: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" جاء عن كثير من الصحابة حتى ذكر بعض العلماء عنه التواتر، وممن قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر السيوطي في الإتيان أنه جاء عن واحد وعشرين من الصحابة^(١).

منهم على سبيل المثال: أبيّ بن كعب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر ابن الخطاب، وغير هؤلاء. وأخرج الحافظ أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف"^(٢) لما قام فقاموا حتى لم يحصوا

(١) الإتيان في علوم القرآن ١/ ٤٥ .

(٢) البخاري رقم ٢٤١٩، مسلم رقم ٨١٨ .

فشهدوا بذلك فقال: وأنا أشهد معهم، قال في المدخل: "وهذا يدل على أن الحديث كان معروفاً مشهوراً غاية الشهرة في زمن الصحابة، ولكن هل نقله عنهم في كل طبقة جماعة كثيرون ممن يثبت بهم التواتر؟ قال: هذا ما يحتاج إلى إثبات وإلا فغاية أمره أنه مشهور من الأحاديث الدالة على نزول القرآن على سبعة أحرف".

١ - ما جاء في الصحيحين بسندهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"^(١).

٢ - وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن ابن شهاب الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري أخبراه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره^(٢) في الصلاة، فصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: مَنْ أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ قلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت

(١) فتح الباري ٩/ ١٩، وصحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١٠١ .

(٢) أمسك به .

هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: "أرسله، اقرأ يا هشام" فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقرأ يا عمر" فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: "كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه" (١).

٣ - روى مسلم في صحيحه (٢) بسنده عن أبي بن كعب "أن النبي ﷺ كان عند أضاة (٣) بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق، ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبي حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا".

٤ - روى مسلم (٤) بسنده عن أبي بن كعب قال: "كنت في

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري ٩/ ١٩ - ٢٠، مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

(٢) (١/ ٥٦٢ - ٥٦٣) ح رقم ٨٢١ .

(٣) أضاة بفتح الهمزة وبضاد معجمة المستنقع كالغدير وجمعه أضاء كحصاة وحصاء وكانت

بموضع من المدينة ينسب إلى بني غفار لكونهم نزلوا عنده، والحديث أخرجه مسلم رقم ٨٢١ .

(٤) مسلم بشرح النووي ٦/ ٩٩ .

المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ فحسن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنا أنظر إلى الله عز وجل فقال لي: "يا أباي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ".

٥ - وروى أحمد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال له عمرو: إنما هي كذا وكذا، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأني ذلك قرأتكم أصبتم فلا تماروا فيه" إسناده حسن^(١).

هذا: والأحاديث في إثبات نزول القرآن على سبعة أحرف كثيرة مستفيضة، ذكر معظمها ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره^(٢).

(١) فتح الباري ٩/ ٢١.

(٢) ٢٢/١ - ٦٧.

المحور الثاني : مما يستخلص من الروايات الأمور التالية :

١ - لو نزل القرآن على حرف واحد لشق ذلك على الأمة العربية؛ فقد كانت متعددة اللغات واللهجات، وما يسهل النطق به على البعض لا يسهل على البعض الآخر، وكانت تغلب عليها الأمية فلا عجب أن حرص النبي ﷺ على الاستزادة من الحروف حيث بلغت سبعة أحرف .

فكان من رحمة الله بهذه الأمة أن أنزل القرآن على سبعة أحرف رفعاً للخرج، وتيسيراً لقراءته وحفظه .

٢ - إن هذه التوسعة إنما كانت في الألفاظ، ولم تكن في المعاني والأحكام، وأنها كانت في المعنى الواحد تقرأ بألفاظ مختلفة بدليل أن النبي ﷺ أقرّ كلاً من المختلفين على قراءته .

٣ - إن هذه التوسعة والإباحة في القراءة بأي حرف من الحروف السبعة إنما كانت في حدود ما نزل به جبريل وما سمعوه من النبي ﷺ وذلك بدليل أن كلاً من المختلفين كان يقول : أقرأنيها رسول الله ﷺ وأن النبي ﷺ كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله : هكذا أنزلت كما في حديث عمر وهشام .

ولا يتوهم أي إنسان أن التوسعة كانت باتباع الهوى، فذلك ما لا يليق أن يفهمه مسلم عاقل؛ إذ الروايات الواردة ترده وتبطله، ولو كان لكل أحد أن يقرأ بما يسهل له من غير تلق وسماع من النبي ﷺ

وأن يبدل ذلك من تلقاء نفسه لذهب إعجاز القرآن، ولكان عرضة أن يبدله كل من أراد، ولما تحقق وعد الله سبحانه بحفظه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾ وكيف يتفق هذا الوهم الباطل مع قول الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي النَّفْسِ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّائِي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ (يونس: ١٥-١٦).

٤ - أن الأمة كانت مخيرة في القراءة بأي حرف منها من غير إلزام بواحد منها، فمن قرأ بأي حرف منها فقد أصاب، بدليل قوله ﷺ في حديث عمر: "فاقرأوا ما تيسر منه" (١).

٥ - أن التوسعة على الأمة لم تكن في مبدأ الدعوة فحسب بل كانت بعد الهجرة وبعد أن دخل في الإسلام كثير من القبائل غير قريش فكانت الحاجة ماسة إلى هذا التسهيل وتلك التوسعة، يشهد لهذا حديث مسلم أن النبي ﷺ كان عند أضواء بني غفار وقد تقدم.

٦ - هذه التوسعة مظهر من مظاهر الرحمة والنعمة ولا ينبغي أن تكون مصدر اختلاف أو أن تكون مثيرة للشك، أو مضعفة لليقين، فقد حذرهم الرسول صلوات الله عليه من الاختلاف، كما في حديث ابن مسعود، ومن الشك في القرآن كما في حديث عمرو بن العاص:

(١) فتح الباري ٩/ ٢٣.

"فلا تماروا فيه" وفي رواية لابن جرير الطبري من حديث أبي جهم:
"فلا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر"^(١).

٧ - حرص الصحابة رضوان الله عليهم البالغ على القرآن وغاية تحوطهم في المحافظة عليه، ونفي الريب والتغيير والتبديل عنه، ويدل على هذا ما كان من الفاروق عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم حتى همّ أن يأخذ بتلايبه وهو في الصلاة.

المحور الثالث: المراد بمعنى الأحرف السبعة:

اعلم أنه اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً حتى أوصل السيوطي الأقوال في معناها إلى نحو أربعين قولاً^(٢).

وأنا أذكر بعضها فقط، ملخصاً ذلك من كتب الفن:

١ - القول الأول: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد، على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر.

٢ - القول الثاني: أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٤/١ .

(٢) الإتيان ٤٥/١ .

العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم.

٣- القول الثالث: أن المراد بالأحرف السبعة أوجه سبعة من الأمر والنهي والوعد والوعيد، والجدل والقصص، والمثل، أو من الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال" (١).

٤ - القول الرابع: أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي:

(١) اختلاف الأسماء بالإفراد والتذكير وفروعهما، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨) قرئ لأماناتهم بالجمع، وقرئ لأمانتهم بالإفراد، ورسمها في المصحف ﴿لِأَمْنَتِهِمْ﴾ يحتمل القراءتين لخلوها من الألف الساكنة، ومآل الوجهين في المعنى واحد فيراد بالجمع الاستغراق الدال على الجنسية، ويراد بالإفراد الجنس الدال على معنى الكثرة، أي جنس الأمانة (٢).

(٢) اختلاف في وجوه الإعراب، كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾

(١) أخرجه الحاكم والبيهقي، وابن جرير ٦٩/١ بمعناه.

(٢) مباحث في علوم القرآن ١/١٤٠.

(يوسف : ٣١) . قرأ الجمهور بالنصب على أن "ما" عاملة عمل ليس وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن، وقرأ ابن مسعود (ما هذا بشر) بالرفع على لغة بني تميم، فإنهم لا يعملون "ما" عمل ليس .

(٣) الاختلاف في التصريف: كقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: ١٩) قرئ بنصب "ربنا" على أنه منادى مضاف "وباعد" بصيغة الأمر وقرئ ربنا بالرفع، "وباعد" بفتح العين على أنه فعل ماض .
(٤) الاختلاف بالتقديم والتأخير: إما في الحرف كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيسْ﴾ (الرعد: ٣١) . وقرئ (أفلم يأتيس) وإما في الكلمة كقوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبة: ١١١) . بالبناء للفاعل في الأول وللمفعول في الثاني .

(٥) الاختلاف بالإبدال: سواء كان إبدال حرف بحرف كقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩) . قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون، أو إبدال لفظ بلفظ كقوله تعالى: ﴿كَأَلَعَيْنِ الْمُنْفُوشِ﴾ (القارعة: ٥) قرأ ابن مسعود وغيره (كالصوف المنفوش) .

(٦) الاختلاف بالزيادة والنقص: فالزيادة كقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التوبة: ١٠٠) قرئ (من تحتها الأنهار) بزيادة من، وهما قراءتان متواترتان، والنقصان كقوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (البقرة: ١١٦) . بدون واو وقراءة الجمهور ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ بالواو .

(٧) اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام والهمز والتسهيل، والإتمام ونحو ذلك .

كالإمالة وعدمها في مثل قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (طه: ٩) . قرئ بإمالة "أتى" "موسى" وترقيق الراء في قوله: ﴿خَيْرًا بَصِيرًا﴾ وتفخيم اللام في الطلاق، وتسهيل الهمزة في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وإشمام الغين ضمة مع الكسر في قوله: ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ (هود: ٤٤) .

٥ - القول الخامس: ذهب بعضهم إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له، وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد، فلفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة والكمال في الأحاد، كما يطلق السبعون في العشرات والسبعمئة في المئات، ولا يراد العدد المعين^(١) .

٦ - القول السادس: أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع .
وهناك أقوال كثيرة وقد رجع كثير من العلماء القول الأول في أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو أقبل، وتعال، وهلم، وعجل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، ممن رجع هذا القول كبير المفسرين ابن جرير الطبري^(٢) وإليه ذهب سفيان بن عيينة، وابن وهب وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء^(٣) .

(١) الإتقان ٤٥/١ .

(٢) ١٥/١ .

(٣) مباحث في علوم القرآن ١٦٢/١ .

واعلم أن أسباب النزول من مقتضيات نزول القرآن الكريم ولذلك لا بد من الكلام عليها كلاماً غير مطول لأنها تحتاج إلى بحث مستقل فنتناولها من النواحي التالية:

تعريف سبب النزول، العبارات التي تعد نصاً في سبب النزول، اعتناء الصحابة بمعرفة أسباب النزول.

فوائد أسباب النزول، هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟ كذلك يلزم على معرفة نزول القرآن، الكلام على جمعه والاعتناء بحفظه والكلام على تواتره وشروط القراءة الصحيحة.

تعريف المكّي والمدني والكلام عليه كلاماً موجزاً من مظاهر العناية بالقرآن الكريم ونزوله والعناية بكتابته ورسمه.

الكلام على أسباب النزول

إن القرآن الكريم نزل لهداية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم في العقائد والأحكام ومكارم الأخلاق، وأكثر القرآن نزل إلى هذه الأغراض النبيلة من غير سبب، وبعضه نزل مرتبطاً بأسباب خاصة .

فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاشوا رسول الله ﷺ وعاشوا معه حياتهم قد تقع منهم حادثة تحتاج إلى بيان حكم الله فيها، وقد يسألون عن أشياء فينزل القرآن لذلك .

فسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متحدة عنه مبينة حكمه والمعنى أن حادثة وقعت أو سؤالاً وجه إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، مثل حادثة خولة التي ظاهر منها زوجها فانزل الله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ (المجادلة : ١) . واعلم أنه لا طريق لمعرفة سبب النزول إلا بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم . قال الواحدي في أسباب النزول : " لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب " .

فالمعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة، ومن أخذ عنهم من التابعين ، ومعرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تختص بالقضايا، وكثيراً ما يجزم بعضهم بالسبب وربما لم يجزم بعضهم

بالسبب، فيقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة النساء: ٦٥)، روى الشيخان في صحيحيهما^(١) عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون منها النخل، فقال الأنصاري سرح الماء يمر، فأبى عليه فاختمهما عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك"، فغضب الأنصاري ثم قال: يا رسول الله ﷺ أن كان ابن عمك، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: "يا زبير احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر" فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فاستوعى رسول الله ﷺ للزبير حقه، وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد أشار على الزبير رأياً^(٢).

وقول الصحابة في سبب النزول محمول على الرفع كما نص على ذلك أئمة المصطلح لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه، وبعيد كل البعد أن يقول الصحابي ذلك من تلقاء نفسه فعدالته تمنعه من ذلك، فذلك محمول على السماع أو المشاهدة.

أما قول التابعي في سبب النزول فله حكم الرفع إلا أنه مرسل، قد

(١) البخاري رقم ٢٣٦١ في كتاب المساقاة، مسلم برقم ٢٣٥٧. في كتاب الفضائل.

(٢) وانظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة النساء رقم ٤٥٨٥، أسباب النزول

للسيوطي ١٥/١.

يقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الصحابة كانوا علماء مجتهدين في معرفة سبب النزول، ولذلك جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري: "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو كنت أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"^(١).

(١) البخاري رقم ٥٠٠٢ في كتاب فضائل القرآن.

بعض فوائد أسباب النزول باختصار

(١) الاستعانة على فهم الآية وإزالة الإشكال عنها : قال الواحدي :
" لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها " . وقال ابن دقيق العيد :
" معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن " . وقال شيخ
الإسلام ابن تيمية في رسالته أصول التفسير^(١) : " معرفة سبب النزول
يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث معرفة المسبب " ولذلك
أمثلة كثيرة منها :

أ - أن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أشكل عليه فرضية السعي
بين الصفا والمروة من قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ
حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (البقرة : ١٥٨) فقال : إن
الله نفى الجناح ونفى الجناح يدل على نفي الوجوب فسأل خالته عائشة
رضي الله عنها ، فقالت له : " إن سبب النزول أنه كان قبل الإسلام على
الصفا صنم يقال له إساف وعلى المروة صنم يقال له نائلة ، فلما جاء الإسلام
تخرج المسلمون من السعي بينهما فأنزل الله الآية رفعا للخرج " ^(٢) .

ب - قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلُ يَدْسُنْ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْلُ لَمْ يَحْضَنْ ﴾ (الطلاق : ٤) فقد أشكل معنى هذا الشرط

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١ / ١٧ ، أصول التفسير ١ / ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣ / ٣٩٢ .

على بعض الأئمة حتى نقل عن الظاهرية أن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب، وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، وذلك أنه لما نزلت الآية التي في البقرة في عدد النساء قال الناس: بقي عدد من النساء لم تذكر عدتها، فحينئذ أنزل الله الآية فعلم منها أن حكم عدة اليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر، إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم عدتهن^(١).

ج - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) فلو تركت على ظاهرها لفهم منها أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة، فلما علم أنها نازلة في صلاة النافلة، أو فيمن عميت عليه القبلة فصلى باجتهاده وبأن له الخطأ بعد ذلك زال الإشكال عنه.

د - ومن ذلك ما روي في الصحيح عن مروان بن الحكم أنه أشكل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٨) قال مروان: لئن كان كل أحد فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذب أجمعون، حتى سأل ابن عباس عن ذلك، فقال له ابن عباس: إن هذه الآية نزلت في اليهود سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأروه أنهم أجابوه واستحمدوه لذلك^(٢).

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ١٣٨، الإنقان في علوم القرآن ١/ ٤٥ فما بعدها،

مباحث في علوم القرآن ١/ ٧٩ فما بعدها.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٢٣٣ مع الفتح.

(٢) من الفوائد دفع توهم الحصر: قال الشافعي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ... ﴾ الآية (المائدة : ١٤٥) قال : إن الكفار لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة والمحاددة فجاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال : لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه ، نازلا منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلوى فتقول له : لا آكل اليوم إلا حلوى ، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه قال لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ولم يقصد حل ما وراءه إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل (١) .

واعلم أيها القارئ الكريم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا إذا كان السبب خاصاً واللفظ عاماً ، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام يتعدى صورة السبب الخاص إلى نظائرها كآيات اللعان التي نزلت في قذف هلال بن أمية زوجته ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ... ﴾ (سورة النور : ٦-٩) . فيتناول الحكم المأخوذ من هذا اللفظ العام ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ غير حادثة هلال دون احتياج إلى دليل ، هذا هو الرأي الراجح والأصح وهو الذي يتفق مع عموم أحكام الشريعة والذي سار عليه الصحابة والمجتهدون من

(١) الإتيان ٢٥/١ وما بعدها، المدخل ١٣٠/١، مباحث في علوم القرآن ٧٩/١،

وما بعدها .

هذه الأمة^(١).

أما صيغة سبب النزول: فتارة تكون نصاً في سبب النزول، وتارة تكون محتملة؛ فتكون نصاً في سبب النزول فيما إذا قال الراوي سبب نزول هذه الآية كذا، أو إذا أتى بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كما إذا قال: "حدث كذا" أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت الآية، فهاتان صيغتان صريحتان في السببية وتكون الصيغة محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي: نزلت هذه الآية في كذا، فذلك يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة أنه داخل في معنى الآية^(٢).

هذا: وقد يتعدد السبب والمنزل واحد، وذكر العلماء لذلك أربع حالات:

- ١- إما أن تكون إحدى الروایتين صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعول عليه ماصحت روايته.
- ٢- أن تكون كلتا الروایتين صحيحة، ولأحدهما مرجح.
- ٣- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح، وقد يمكن نزول الآية عقبهما.
- ٤- وإما أن تكون كل منهما صحيحة ولا يمكن الترجيح ولا يمكن

(١) مباحث في علوم القرآن ١/ ٨٤، مذكرة الأصول ١/ ٣٧٢، الشيخ محمد الأمين.

(٢) أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٥٩ - ٦١.

نزول الآية عقبهما .

(١) مثال الحالة الأولى : أن تكون إحدى الروایتین صحيحة والأخرى غير صحيحة فالمعتمد في السبب الصحيحة : أنه ﷺ اشتكى فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءت امرأة فقالت : ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ ١ وَأَلِيلَ إِذَا سَجَىٰ ۝ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ ٣﴾^(١) مع ما أخرجه الطبراني وابن أبي شعبة والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميرة عن أمه عن أمها، وكانت خادمة رسول الله ﷺ أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير ومات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال : يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟ فقلت في نفسي : لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته الرعدة فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ ١﴾ فالمعتمد الرواية الأولى لأنها صحيحة أما الثانية وإن كانت مشهورة لكنها غير صحيحة لوجود الجهالة في سندها .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(٢) : " قصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في الصحيح " .

(١) البخاري رقم ٤٩٥٠، مسلم برقم ١٧٩٧ الجهاد .

(٢) فتح الباري ٨ / ٥٨٠ .

(٢) مثال الحالة الثانية: وهي أن تكون كلتا الروایتين صحيحة ولأحدهما مرجح: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه ثم قال: ﴿... قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) (١).

مع ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل يريدون النبي ﷺ (٢).
فالأولى تدل على أن السائل اليهود، وأن نزولها بالمدينة، والثانية تدل على أن السائل الكفار وأنها نزلت بمكة، والرواية الأولى أرجح لأمرين:
أ - أنها من رواية البخاري.

ب - أن الراوي في الأولى وهو ابن مسعود حاضر للقصة ومشاهد لها، بينما ابن عباس الذي هو الراوي في الثانية لم يثبت أنه كان مشاهداً لها (٣).

(٣) مثال الحالة الثالثة: وهي أن تكون كل من الروایتين صحيحة، ولا يمكن الترجيح لكن يمكن نزول الآيتين عقب السببين

(١) البخاري برقم ١٢٥ في كتاب العلم، ومسلم برقم ٢٧٩٤ في صفة القيام.

(٢) الإتيقان ١/٣٣.

(٣) مسلم بشرح النووي ١٠/٢١٢٠.

لعدم العلم بالتباعد : ما أخرجه البخاري^(١) من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ : "البينة أو حد في ظهرك" . فقال : يا رسول الله إذا وجد أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول : "البينة وإلا حد في ظهرك" فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فأنزل الله ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ الآية. وأخرج البخاري^(٢) عن سهل بن سعد : أن عويمراً العجلاني هو الذي سأل النبي ﷺ عن ذلك، وأن الآية نزلت فيه.

فهاتان الروايتان صحيحتان : ويمكن الجمع بينهما بأن أول من سأل هلال ثم سأل عويمر قبل الإجابة ثم نزلت الآيات^(٣).

(٤) مثال الحالة الرابعة : التي هي استواء الروايتين أو الروايات في الصحة، ولا مرجح مع عدم إمكان نزول الآية عقبها لتباعد الزمان فالحكم أن يحمل الأمر على تكرار النزول . مثال ذلك : ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد، وقد مثل به فقال : "لأمثلن بسبعين منهم مكانك" فنزل جبريل

(١) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٧) .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٧٤٥) .

(٣) انظر : فتح الباري (٨ / ٣٠٤ - ٣٠٥) .

بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾ (النحل: ١٢٦) مع ما أخرج الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لعن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربين عليهم. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا...﴾ الآية. قال في المدخل: "فالأولى تفيد أن الآيات نزلت عقب أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم الفتح، وبين الفتح وأحد حوالي خمس سنين". إلى أن قال: "فلا مناص من القول بتعدد النزول مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح" (١).

(١) المدخل في علوم القرآن ١/ ١٣٨، مباحث في علوم القرآن ١/ ٨٧ - ٩٠، مناهل العرفان ١/ ١٠٦ فما بعدها.

أول ما نزل من القرآن و آخر ما نزل منه

اعلم أيها القارئ الكريم أن المتكلم في موضوع نزول القرآن لابد أن يتكلم على أول ما نزل وآخر ما نزل لتعلق هذا الموضوع بالنزول، وعليه فإن العلماء بحثوا هذا الموضوع بحثاً واسعاً لأهميته وأنا أتكلم فيه من النواحي التالية:

- ١ - أول ما نزل مطلقاً.
- ٢ - آخر ما نزل مطلقاً.
- ٣ - أوائل مقيدة.
- ٤ - أواخر مقيدة.
- ٥ - بعض فوائد هذا النوع.

أول ما نزل من القرآن مطلقاً

ذكر العلماء في ذلك أربعة أقوال:

(١) أول ما نزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ (العلق: ١-٥).

من الأدلة على هذا القول:

أ - ما رواه البخاري ومسلم^(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في

(١) البخاري ٣/١، ومسلم ٩٨/١، البرهان ٢٩٣-٣٠٠، والإتقان ٦٨/١-٧٦،

٧٧، ٨١، وورد في مسند أحمد ٦/٢٣٢-٢٣٣، أسباب النزول للواحدي ٤٨/١.

النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: "اقرأ" قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق" إلخ.

ب - روى الحاكم في مستدركه والبيهقي في دلائل النبوة وصحاحه عن عائشة أنها قالت: أول سورة نزلت من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ومرادها بالسورة صدرها^(١).

(٢) القول الثاني: أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ...﴾ إلى قوله... ﴿وَالْزُّجَرْ فَهَجَّرْ﴾ (المدثر: ١-٥) وهذا القول مروى عن جابر بن عبد الله وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومن الأدلة على هذا القول: ما رواه الشيخان -واللفظ للبخاري- عن يحيى بن أبي كثير: قال سألت أبا سلمة ابن عبد الرحمن أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ فقلت أنبئت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ فقلت نبئت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ فقال: "لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله

(١) الإتيان في علوم القرآن ٦٨/١.

ﷺ : جاورت في حراء فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو - يعني جبريل - بين السماء والأرض فأخذتني رجفة، فأتيت خديجة فقلت " دثروني " فأنزل الله يأيها المدثر" (١).

وأجاب أهل القول الأول عن هذا بأجوبة أحسنها: أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ أول ما نزل بعد فترة الوحي، أما اقرأ فهي أول ما نزل على الإطلاق (٢).

(٣) القول الثالث: أن أول ما نزل سورة الفاتحة، وقد عزا هذا القول الزمخشري في كشافه (٣) إلى أكثر المفسرين، ورد عليه الحافظ ابن حجر (٤) بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل من القليل. من أدلة هذا القول: ما رواه البيهقي في دلائل النبوة والواحي بسنده عن أبي ميسرة عمر بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "إني إذا خلوت (٥) وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً" فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك؛ فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة

(١) البخاري ٣/١ ومسلم ٩٩/١٢ .

(٢) الإتيقان ٦٨/١، المدخل ١٠٤/١ .

(٣) مستدرک الحاكم ٢/٢٤٠ رقم ٢٨٧٣ .

(٤) فتح الباري ٨/٥٥٠ - ٥٥١ .

(٥) القرطبي ١/١١٥ ، وعزا للبيهقي في الدلائل .

حديثه له وقالت : اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل فانطلقا فقصا عليه فقال : إذا خلوت وحدي سمعت نداء من خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هارباً في الأفق فقال : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم اثنني فأخبرني فلما خلا ناداه : يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال العلماء^(١) : والجواب عن هذا الحديث أنه مرسل لا يعارض القول الأول .

(٤) القول الرابع : إن أول ما نزل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ دليل هذا القول ما أخرجه الواحدي بإسناده عن عكرمة والحسن قالا : أول ما نزل من القرآن ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وأول سورة ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ قال السيوطي : وعندني أن هذا القول لا يعد قولاً برأسه فإن من ضرورة نزول السورة نزول البسملة .

واعلم أن هذه الآثار والأحاديث لا تنهض لمعارضة حديث عائشة الذي هو في الصحيح الدال على أن أول ما نزل ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ .
آخر ما نزل من القرآن مطلقاً

اعلم أيها القارئ الكريم أنه ليس في هذا الموضوع أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ يمكن التحاكم إليها ، وكل ما فيه آثار مروية عن بعض الصحابة والتابعين استنتجوها من مشاهداتهم للنزول ، وملايسات الأحوال ، فقد

(١) الإثقان ٦٩/١ ، المدخل ١٠٤/١ .

يسمع أحدهم ما لا يسمع الآخر، ويرى ما لا يراه غيره، ومن هنا كثر الاختلاف في هذا الموضوع ولنكتفٍ بالبعض فقط على النحو التالي :

(١) القول الأول : أن آخر ما نزل قوله تعالى في آخر سورة البقرة :

﴿ وَأَتَقُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨١) .

من الأدلة على هذا القول :

ما رواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : آخر ما نزل من القرآن ﴿ وَأَتَقُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية وروى ابن مردويه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت من القرآن ﴿ وَأَتَقُوا أَيَّامًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية وعاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول .

وذكر البغوي في تفسيره^(١) عند هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ فقال جبريل : ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة، وعاش بعدها رسول الله ﷺ أحدًا وعشرين يومًا .

وروى الألوسي في تفسيره^(٢) عند هذه الآية أنه قال : -يعني رسول الله ﷺ- : " اجعلوها بين آية الربا وآية الدين " .

(١) البغوي ١/ ٣٤٧ ، المدخل ١/ ١٠٧ ، الإتيقان ١/ ٧٧ ، صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/ ٢٠٥ ، البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن .

(٢) الألوسي ١/ المجلد الأول ج ٢/ ٥٥ .

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: "جاءني جبريل فقال اجعلوها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة".

قال في المدخل^(١): "وهذا الرأي هو أرجح الآراء والأقوال وهو الذي تركز إليه النفس للأسباب التالية:

١ - لم يحظ قول من الأقوال الآتية بما حظي به هذا القول من الآثار وأقوال الأئمة.

٢ - ما تشير به هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر والرجوع إلى الله ليوفي كلاً جزاء عمله، وهو أنسب بالختام.

٣ - ما ظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها ووفاة النبي ﷺ ولم يظفر قول بهذا التحديد".

(٢) القول الثاني: أن آخر ما نزل هو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨).

ويدل لهذا القول ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: وآخر آية نزلت آية الربا^(٢).

والحق الأول: ويجاب عن هذا القول إما بأنها آخر آية نزلت في شأن الربا، وإما أنها من آخر الآيات نزولاً.

(٣) القول الثالث: أن آخر آية نزلت آية الدين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

(١) ١١/١.

(٢) البخاري رقم ٤٥٤٤ كتاب تفسير القرآن.

تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة: ٢٨٢) وهي أطول آية في القرآن. ومن أدلة هذا القول ما أخرجه ابن جرير^(١) من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن آخر القرآن عهداً بالعرش آية الدين، مرسل صحيح الإسناد. ويجاب عنه بأنها آخريّة مقيدة، فهي آخر ما نزل في باب المعاملات.

هذا: وقد جمع السيوطي في الإتيان بين هذه الأقوال الثلاثة فقال: "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، وآية واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، وآية الدين؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأن موضوعها واحد، فأخبر كل واحد عن بعض ما نزل بأنه آخر، وذلك صحيح".

وقد جمع الحافظ بين القولين بأن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن، كما رجح أن آية "واتقوا يوماً..." هي الأليق بالختام.

(٤) القول الرابع: آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...﴾ (النساء: ١٧٦) وآخر ما نزل من السور براءة، ويدل على هذا ما رواه البخاري ومسلم^(٢) عن البراء بن عازب أنه قال: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦).

(١) ابن جرير الطبري في تفسيره .

(٢) البخاري ٤٣٦٤ المغازي، مسلم ١٦١٨ الفرائض، أحمد ٨١٦٤ .

يجاب عن هذا بأن سورة براءة آخر ما نزل في شأن القتال والجهاد .

(٥) القول الخامس : أن آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٩٣) ويدل لهذا القول ما رواه البخاري ^(١) عن سعيد بن جبير قال : آية اختلف فيها أهل الكوفة ، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسأله عنها ، فقال : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ ، هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء . والجواب أنها آخر ما نزل في حكم قتل المؤمن عمداً ، فهي آخريه مقيدة .

(٦) القول السادس : أن آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (براءة : ١٢٨) . إلى آخر سورة براءة . من الأدلة على هذا القول ما رواه الحاكم في المستدرک عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة ^(٢) .

قال في الإتيان " وروى ابن مردويه عن أبي أيضاً قال : آخر القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ " . ويجاب عنه أنهما آخر ما نزل من سورة براءة .

(٧) القول السابع : آخر ما نزل سورة المائدة من الأدلة على هذا

(١) البخاري رقم ٤٥٩٠ تفسير القرآن ، مسلم رقم ٣٠٢٣ التفسير .

(٢) المستدرک ٣٣٨ / ٢ ، والدر المنثور ٢٩٥ / ٣ .

القول ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : آخر سورة نزلت المائدة^(١) فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه .

ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام .

(٨) القول الثامن : آخر سورة نزلت ﴿ إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾

قال في الإتيقان رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس ، ورواه النسائي أيضاً عنه ويجاب عن هذا القول بأنها آخر سورة نزلت بتمامها .

قال في المدخل : " وقد عرفت أن القول الأول هو الصحيح الراجح وعرفت الإجابة عما ورد مخالفاً له وأن المراد أواخر مقيدة لا مطلقة " ^(٢) .

الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة

هذا البحث كثير ، ولهذا يكتفى فيه بذكر نماذج من الأوائل المقيدة والأواخر المقيدة ، حسب ما ذكره العلماء فأقول : أول آية نزلت في الخمر : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (البقرة : ٢١٩) .

أول ما نزل في الجهاد قوله تعالى : ﴿ أُوْذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٣٩ - ٤١) .

أول ما نزل في شأن القتل آية الإسراء وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا

(١) الترمذي رقم ٣٠٦٣ كتاب التفسير .

(٢) المدخل ١ / ١٢٢ ، الإتيقان ١ / ٧٧ ، وما بعدها .

الْأَنفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿ (الإسراء: ٣٣) .

نماذج من الأواخر المقيدة

١ - آخر ما نزل في تحريم الخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - إلى قوله - فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١) .

٢ - آخر آية نزلت في شأن القتل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣) .

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل

اعلم أن هذا المبحث لا مجال للعقل فيه، إلا بالترجيح بين الأدلة وجمع المتعارض إن وجد، والمدار فيه على النقل، ولمعرفته فوائد نلخص بعضها فيما يلي:

(١) معرفة الناسخ والمنسوخ: فيما إذا وردت آيتان أو أكثر في موضع واحد وحكم إحداهما يغاير الآية الأخرى تغايراً لا يمكن معه الجمع فنلجأ حينئذ إلى معرفة المتقدم فيعلم أنه منسوخ بالتأخر.

(٢) تاريخ التشريع الإسلامي: وذلك مثل ما إذا عرفنا أن الآيات التي فيها الأمر بالصلاة نزلت بمكة قبل الهجرة، وأن الآيات التي فيها الأمر بالزكاة وبالصوم كانت في السنة الثانية للهجرة بالمدينة المنورة، وأن

آيات الحج نزلت في السنة السادسة على الراجح كان بالإمكان ترتيبها ترتيباً شرعياً فنقول: أول ما فرض الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج . وكذلك إذا علم أن آية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩) نزلت بالمدينة في السنة الثانية علم أن الجهاد فرض في المدينة في السنة الثالثة وهكذا .

(٣) من الفوائد كذلك : معرفة التدرج في التشريع ويتوصل به إلى معرفة حكمة الله في أخذ الشعوب بهذه السياسة الحكيمة في الإسلام، وذلك مثل ما إذا عرفنا ترتيب الآيات التي نزلت في شأن الخمر، ومثل ما إذا علمنا أن الآيات الداعية إلى أصول العقائد، نزلت أولاً بمكة، بخلاف الآيات النازلة في الأحكام التشريعية التفصيلية والعملية، فإنها نزلت بالمدينة، فإنه ما لم تعرف الأصول ويطمأن إليها، لا يسهل الأخذ بالفروع^(١).

(تنبيه)

قال السيوطي: "قد يشكل على ما تقدم في آخر ما نزل مطلقاً قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع، وظهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدي فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنه وارد في آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك . وقد

(١) المدخل ١/١٠١، الإتيقان ١/٢٧٧، مباحث في علوم القرآن ١/١٠٠ فما بعدها .

استشكل ذلك ابن جرير وقال: الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، حتى حَجَّه المسلمون لا يخالطهم المشركون" (١).

قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) الإتيان ٧٧/١ فما بعدها، والمدخل ١٠١/١ فما بعدها.

الخاتمة

وهي عبارة عن بعض النتائج التي توصل إليها الباحث مع اقتراح يقترحه .

١ - النتيجة الأولى : أن نزول القرآن الكريم من أهم موضوعات علوم القرآن بل كل موضوعاته الأخرى مبنية على نزول القرآن الكريم .

٢ - النتيجة الثانية : أن علوم القرآن الكريم فناً مدوناً مستقلاً بنفسه بهذا اللقب ما كان معروفاً في العصور الأولى .

٣ - النتيجة الثالثة : أن أول ظهور لهذا الفن، مدوناً مستقلاً كان على يد الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠هـ في كتابه البرهان في علوم القرآن .

٤ - النتيجة الرابعة : أن العلماء اختلفوا في تعريف القرآن، وأحسن تعاريفه، كما عرفه في المراقي " أنه اللفظ المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بالفاظه ومعانيه " .

٥ - النتيجة الخامسة : أن القرآن معجز بلفظه ومعناه، وأن النظام ومن شايعه القائلين بالصرفة قولهم ضعيف مردود .

٦ - النتيجة السادسة : أن القرآن الكريم أنزل مرتين، مرة جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، ومرة أنزل مفراً منجماً على حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة .

٧ - النتيجة السابعة : أن لنزول القرآن الكريم مفراً حكماً كثيرة

كما ذكر بعضها في ثنايا البحث .

٨ - النتيجة الثامنة: أن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ثابت حيث ورد بروايات صحيحة لا مطعن فيها، وأنه يدل على التيسير بهذه الأمة واللفظ بها مع أن معنى الحديث من المشكل المختلف فيه بين العلماء .

٩ - النتيجة التاسعة: أن القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت منه شيء عن تكليم أو إلهام أو منام بل كله أوحى به في اليقظة وحيا جلياً .

١٠ - النتيجة العاشرة: أن الكتب السماوية غير القرآن الكريم كالتوراة والإنجيل نزلت جملة واحدة، ولم تنزل مفرقة .

١١ - النتيجة الحادية عشرة: أن المعول عليه في أسباب النزول هم الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين، لا غير .

١٢ - النتيجة الثانية عشرة: أن معرفة سبب النزول طريق قوي ومعين على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها وله فوائد جمة .

١٣ - النتيجة الثالثة عشرة: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جماهير العلماء من المحدثين والفقهاء والأصوليين .

١٤ - النتيجة الرابعة عشرة: أن أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ صدر سورة ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .

١٥ - النتيجة الخامسة عشرة: أن آخر ما نزل من القرآن الكريم على

النبي ﷺ قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ .

أما الاقتراح الذي أقترحه : فهو أن يؤلف المسلمون هيئة عليا من العلماء والقادة، للدفاع عن القرآن الكريم وحقوقه بحيث يكون للهيئة مقر ثابت في إحدى الدول الإسلامية، كالهيئات العالمية الأخرى .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر:
للدكتور فهد بن سليمان الرومي، (بدون مكان طبع) (١) ١٤٠٧هـ.
- ٢- الإتيقان في علوم القرآن:
لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة ط (٣) ١٤٠٥هـ.
- ٣- أحكام القرآن:
لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)
تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:
لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).
- ٥- أسباب النزول:
لأبي حسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) تخريج عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام ط (٢) ١٤١٢هـ.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:
لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) طبع

وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٣هـ.

٧- إعجاز القرآن :

لأبي بكر بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة ط (٥)، ١٤٠١هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن :

لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزميله، دار المعرفة - بيروت ط (١) ١٤١٠هـ - ومصورة دار المعرفة - بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بدون تاريخ).

٩- التبيان في آداب حملة القرآن :

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مطبوعات جمعية القرآن الكريم - جدة ط (٢)، ١٤٠٨هـ.

١٠- تفسير التحرير والتنوير :

لمحمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية - تونس ١٤٠٤هـ.

١١- تفسير القرآن العظيم :

لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، نشر:

مكتبة المعارف - الرياض ط (١) ١٤٠٦ هـ.

١٢- التفسير والمفسرون :

للدكتور محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٧ هـ) ، دار الكتب
الحديثة - القاهرة ، ط (٢) ١٣٩٦ هـ.

١٣- تناسق الدرر في تناسب السور :

لأبي الفضل عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١ هـ) تحقيق :
عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط (١) ١٤٠٦ هـ.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :

لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت : ١٣٧٦ هـ) مركز صالح بن صالح
الثقافي - عنيزة ط (١) ١٤٠٧ هـ.

١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت : ٣١٠ هـ) شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة ط (٣) ١٣٨٨ هـ.

١٦- جامع الترمذي :

لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩ هـ) ، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ط (٢) ١٣٩٨ هـ.

١٧- الجامع لأحكام القرآن :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١ هـ) دار
إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ) .

١٨- حديث الأحرف السبعة: دراسة لإسناده وامتته واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية:
للدكتور عبد العزيز القارئ، دار النشر الدولي - الرياض ط (١)،
١٤١٢هـ.

١٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور:
لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) دار
الفكر - بيروت ط (١) ١٤٠٣هـ.
٢٠- دلائل النبوة:

لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب
العلمية - بيروت ط (١)، ١٤٠٥هـ.

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني:
لأبي الثناء محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث
العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٢٢- روضة الناظر وجنة المناظر:
لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)،
دار الكتاب العربي - بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.

٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة:
لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي -
بيروت.

٢٤- سنن أبي داود:

لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق: عزت عبید الدعاس وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط (١)، ١٣٨٨هـ.

٢٥- صحيح البخاري:

لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ضبط وترقيم وعناية: د. مصطفى البغا، دار القلم - دمشق - بيروت ط (١) ١٤٠١هـ.

٢٦- صحيح مسلم:

لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون تاريخ).

٢٧- صحيح مسلم شرح النووي:

لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت (بدون تاريخ).

٢٨- طبقات المفسرين:

لأبي الفضل عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة - القاهرة ط (١) ١٣٩٦هـ.

٢٩- طبية النشر في القراءات العشر:

لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) مراجعة وتحقيق: علي محمد الضباع، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، ط (١) ١٣٦٩هـ.

٣٠- علوم القرآن:

للدكتور عدنان زرزور، المكتب الإسلامي - بيروت، ط (٢) ١٤٠٤هـ.

٣١- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة مقارنة:

للدكتور حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان - المدينة ط (١) ١٤٢٠هـ.

٣٢- غاية المنتهى في طبقات القراء:

لأبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) عني بنشره: ج. برجستراسر دار الكتب العلمية - بيروت ط (٣) ١٤٠٢هـ.

٣٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري:

لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان - القاهرة، ط (١) ١٤٠٧هـ.

٣٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:

لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) دار المعرفة - بيروت (بدون تاريخ).

- ٣٥- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن :
- لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) تحقيق :
د / حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط (١)
١٤٠٨هـ.
- ٣٦- القاموس المحيط :
- لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق :
مكتب التراث في مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) ١٤٠٧هـ.
- ٣٧- قرّة الأبصار في سيرة المشفع المختار : (خ)
للمطبي عبد العزيز بن عبد العزيز الفاسي (ت : نحو ٨٨٠هـ).
- ٣٨- الكشف عن حقائق التنزيل :
- لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) مكتبة
المعارف - الرياض (بدون تاريخ).
- ٣٩- لباب النقول في أسباب النزول :
- لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت : ٩١١هـ) دار
إحياء العلوم - بيروت ط (٤) ١٤٠٦هـ.
- ٤٠- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير :
- د / محمد الصباغ، المكتب الإسلامي - بيروت (بدون تاريخ).
- ٤١- مباحث في علوم القرآن :
- للدكتور صبحي الصالح (ت : ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين -
بيروت، ط (١٦) ١٤٠٥هـ.

٤٢- مباحث في علوم القرآن :

لمناع خليل القطّان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢١)
١٤٠٧هـ.

٤٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية :

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم النجدي وابنه محمد، توزيع
رئاسة شؤون الحرمين - مكة المكرمة، مصورة عن الطبعة الأولى /
١٣٩٨هـ.

٤٤- محاسن التأويل :

لمحمد جمال الدين القاسمي (ت : ١٣٣٢هـ) تحقيق : محمد فؤاد
عبد الباقي، دار الفكر - بيروت ط (٢) ١٣٩٨هـ.

٤٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :

لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت : ٥٤٦هـ)،
تحقيق : المجلس العلمي بفاس عام ١٤١٣هـ.

٤٦- مختار الصحاح :

لأبي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت : بعد ٦٦٠هـ)
مكتبة لبنان - بيروت، ١٤٠٩هـ.

٤٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم :

د / محمد بن محمد أبو شهبه (ت : ١٤٠٣هـ) مكتبة السنة -
القاهرة ط (١) ١٤١٢هـ.

٤٨- مذكرة أصول الفقه :

محمد الأمين بن المختار الشنقيطي (ت : ١٣٩٣ هـ) دار القلم -
بيروت (بدون تاريخ) .

٤٩- مراقي السعود :

لسيدي عبد الرحمن بن حاج إبراهيم (ت : ١٢٣٣ هـ) طبعة فضالة
- المغرب .

٥٠- المستدرك على الصحيحين :

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت : ٤٠٥ هـ) تحقيق : مصطفى
عبد القادر عطا ، توزيع مكتبة الباز - مكة المكرمة ط (١) ١٤١١ هـ .
٥١- مسند الإمام أحمد :

لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١ هـ) دار صادر -
بيروت (بدون تاريخ) .

٥٢- معالم التنزيل :

لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦ هـ) تحقيق :
محمد عبد الله النمر وزميليه ، دار طيبة - الرياض ١٤٠٩ هـ .

٥٣- مفردات ألفاظ القرآن :

لأبي القاسم الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت :
في حدود ٤٢٥ هـ) تحقيق : صفوان عدنان داودي . دار القلم - دمشق
ط (١) ١٤١٢ هـ .

٥٤- مقدمة في أصول التفسير:

لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیمیة (ت: ٧٢٨هـ)، تحقیق: د/عدنان زرزور، دار القرآن الکریم - بیروت ط (٣)، ١٣٩٩هـ.

٥٥- مناهل العرفان في علوم القرآن:

لمحمد عبد العظیم الزرقانی (ت: ١٣٦٧هـ) دار إحياء التراث العربي - بیروت (بدون تاریخ).

٥٦- النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع: لإبراهیم المارغنی (ت: ١٣٤٩هـ). (بدون تاریخ).

٥٧- النکت والعیون: تفسیر الماوردي:

لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) تحقیق: خضر محمد خضر، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية ط (١) ١٤٠٢هـ.

الفهرس

خططة البحث.....	٩
المقدمة : من مقتضيات النزول.....	١١
التعريف بالقرآن الكريم وأنه المعجزة العظمى للنبي ﷺ.....	١٥
التعريف بعلوم القرآن فناً مستقلاً ومتى ظهر هذا الاصطلاح.....	٢١
متى بدأ النزول وكم كانت مدة النزول؟.....	٢٣
الحكمة في إنزال القرآن جملة إلى السماء.....	٣٠
كيف كان يتلقى النبي ﷺ الوحي من جبريل؟.....	٣٦
نزول القرآن مفزاً (منجماً).....	٣٧
نزول الكتب السماوية الأخرى.....	٣٩
الحكم التي تستفاد من نزول القرآن مفزاً منجماً.....	٤١
الكلام في نزول القرآن على سبعة أحرف.....	٥٠
الكلام على أسباب النزول.....	٦١
بعض فوائد أسباب النزول باختصار.....	٦٤
أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه.....	٧٢
الخاتمة.....	٨٤
فهرس المصادر و المراجع.....	٨٧
الفهرس.....	٩٧

جَمْعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حِفْظًا وَكِتَابَةً

إعداد

أ.د. علي بن سليمان العبيد

وكيل كلية أصول الدين للدراسات العليا والبحث العلمي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بالرياض

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
— صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم — أما بعد :

فقد أنزل الله عز وجل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ليكون للعالمين نذيراً، وجعله خاتمة كتبه، ومهيماً عليها، وحجة على خلقه، ومعجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، لهذا تكفل الله عز وجل بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢) وقال : ﴿ لَا تَحْرُكُوهُ لِئَلَّا يَكُنْ لِلنَّاسِ حِجَابٌ عَنِ الذِّكْرِ ﴾ (فصلت : ١٧ ، ١٦) ، فهيأ لذلك الأسباب والرجال يحفظونه، ويعلمونه، ويقدمون أنفسهم في سبيل تعليم الناس بعض آيات من القرآن الكريم .

ولإبراز ما تحقق للقرآن الكريم من عناية واهتمام حفظاً وكتابة أحببت الكتابة في هذا الموضوع ، وجعلته بعنوان : " جمع القرآن الكريم — حفظاً وكتابة " .

وقد اقتضت طبيعة الكتابة فيه أن ينتظم في خمسة مباحث :

المبحث الأول : معنى جمع القرآن الكريم ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى الجمع في اللغة .

المطلب الثاني : معنى جمع القرآن في الاصطلاح .

المبحث الثاني : حفظ القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : حفظ القرآن الكريم في السماء .

المطلب الثاني : حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض .

المطلب الثالث : حفظ القرآن الكريم على الأرض .

المبحث الثالث : كتابة القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه

وسلم وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة على كتابة القرآن الكريم في عهده صلى الله

عليه وسلم .

المطلب الثاني : كُتِّبَ الوحي .

المطلب الثالث : الأدوات التي كتب عليها الوحي .

المطلب الرابع : الصفة التي كتب عليها القرآن الكريم في عهده صلى

الله عليه وسلم .

المطلب الخامس : السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف

واحد في عهده صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع : جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي

الله عنه وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : عناية الصحابة بالقرآن الكريم .

المطلب الثاني : سبب تردد أبي بكر في عرض عمر رضي الله عنهما بجمع القرآن .

المطلب الثالث : سبب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب الرابع : سبب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه .

المطلب الخامس : منهج جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب السادس : مدة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب السابع : سمات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

المطلب الثامن : تسميته بالمصحف .

المطلب التاسع : خبر هذا المصحف .

المبحث الخامس : جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي

الله عنه وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : فكرة الجمع .

المطلب الثاني : سبب جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي

الله عنه .

المطلب الثالث : منهج جمع القرآن الكريم في عهد عثمان رضي الله عنه .

المطلب الرابع : نشر عثمان بن عفان المصاحف بالأمصار .

المطلب الخامس : حرق المصحف والمصاحف الأخرى، ورضا الصحابة عن ذلك .

المطلب السادس : خير هذه المصاحف .

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

علي بن سليمان العبيد

المبحث الأول معنى جمع القرآن الكريم

المطلب الأول: معنى الجمع في اللغة.

الْجَمْعُ: مصدر الفعل "جَمَعَ"، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعاً.

قال الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣هـ: "أجمعتُ الشيءَ: جعلته جميعاً، والمجموع: الذي جُمِعَ من ها هنا وها هنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد"^(١).

وقال الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ: "الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع"^(٢).

وقال ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ: "جَمَعَ الشيءَ عن كل تفرقة يجمعه جمعاً، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء: إذا جئت به من ها هنا وها هنا، وتجمّع القوم: اجتمعوا أيضاً من ها هنا وها هنا"^(٣). وقال الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ: "الجمع: تأليف المتفرّق"^(٤).

(١) الصحاح للجوهري ج ٣، ص ٩٩١ مادة "جمع".

(٢) المفردات للراغب ٩٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٨، ص ٥٣ مادة "جمع".

(٤) ترتيب القاموس المحيط ج ١، ص ٥٢٨ مادة "جمع".

ويلاحظ في هذه المعاني أن اشتقاق كلمة "جَمَعَ" تدل على الجمع والاجتماع والتأليف، وضم المتفرق فجمع الشيء استقصاؤه والإحاطة به.

المطلب الثاني: معنى جمع القرآن في الاصطلاح.

جمع القرآن الكريم يطلق في علوم القرآن على معنيين:

أحدهما: جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب، ويدل له قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٧) أي: جمعه في صدرك، وإثبات قراءته في لسانك^(١) وما جاء عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - أنه قال: "جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تملّ، فاقراه في شهر، فقلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي قال: فاقراه في عشرة، قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي، قال: فاقراه في سبع، قلت: دعني أستمع من قوتي وشبابي فأبى"^(٢) فمعنى قوله: جمعت القرآن أي: حفظته عن ظهر قلب.

ومنه قولهم: "جُمَاع القرآن" أي: حفاظه.

الثاني: جمعه بمعنى كتابته، ويدل له ما ورد في الحديث الذي

أخرجه البخاري في قصة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وما ورد فيه:

(١) انظر الكشف ج ١٦ - ٢٦٩ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب في كم يستحب يختم

القرآن، سنن ابن ماجه ج ١، ص ٤٢٨ .

قول عمر بن الخطاب لأبي بكر -رضي الله عنهما-: "وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن".

وقول أبي بكر الصديق لزيد بن ثابت -رضي الله عنهما-: "فتتبع القرآن فاجمعه" أي: اكتبه كله.

وقول زيد بن ثابت -رضي الله عنه-: "فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال" (١).

وإذا نظرنا إلى أشهر أسماء القرآن الكريم، فإننا سنجد فيها اسمين يدلان على المعنيين:

الأول: القرآن.

الثاني: الكتاب.

فالاسم الأول "القرآن" إشارة إلى جمعه عن طريق المعنى الأول، وهو الحفظ في الصدور. فالقرآن: لفظ مشتق من الفعل "قرأ" بمعنى تلا، فهو مرادف للقراءة، ودل على هذا قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (طه: ١١٤) أي: لا تعجل بقراءة القرآن قبل أن ينتهي جبريل من قراءته. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨) أي: قراءة القرآن في هذا الوقت تشهدها الملائكة ويشهدون بها.

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج ٦، ص ٩٨.

قال اللحياني ^(١) وجماعة من أهل اللغة: "قرآن: مصدر كغفران، سُمِّيَ به "المقروء" أي المتلو، تسمية للمفعول بالمصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ^(٢) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعُ قُرْآنَهُ ^(٣) (القيامة: ١٧، ١٨) أي: قراءته، والمراد: جبريل عليه السلام. ومنه كذلك قول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنهما:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عَنَوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقَرَّاناً ^(٤)

أي: قراءة. ويقال: قرأ الرجل، إذا تلا، يقطع قرآناً وقراءة ^(٥).

والاسم الثاني (الكتاب) إشارة إلى جمعه عن طريق المعنى الثاني وهو الحفظ في السطور، فالكتاب في الأصل مصدر، ثم سمي المكتوب فيه كتاباً ^(٦).

قال السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ "ومن أسمائه -أي القرآن- الكتاب، سمي بذلك، لأن الكُتِبَ الجمع يقال: كتب إذا جمع الحروف بعضها على بعض، وتكُتِبُ بنو فلان، أي: اجتمعوا" ^(٧). وقال الدكتور محمد دراز: "روعي في تسميته قرآناً كونه متلوّاً

(١) هو علي بن حازم اللحياني، لغوي عاصر الفراء، كان حياً سنة ٢٠٧ هـ، معجم المؤلفين ٥٦: ٧.

(٢) الأشمط: أبيض الرأس يخالطه سواد، انظر ديوان حسان ص ٤٦٩.

(٣) انظر قوله في مدخل إلى تفسير القرآن، د. زرور ص ٤٥.

(٤) انظر المفردات ص ٤٢٣.

(٥) جمال القراء ج ١، ص ٢٨.

بالألسن، كما روعي في تسميته كتاباً كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه .

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً ، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"^(١).

وحين يتحدث المؤلفون في علوم القرآن عن موضوع جمع القرآن الكريم فإن أغلبهم يطلق عبارة جمع القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وجمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويريدون بالجمع معاني مختلفة، فبتدبر الأمر وتتبع الروايات نجد أن لفظ الجمع حين يطلق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد به حفظه عن ظهر قلب وكتابته على الأدوات المتوافرة ذلك الوقت . وحين يطلق في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقصد به كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور . وحين يطلق في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقصد به نسخ المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر رضي الله عنه بمصاحف متعددة . وسنتناول بالتفصيل —إن شاء الله— هذه المراحل في المباحث التالية .

(١) النبأ العظيم ص ١٢، ١٣ .

البحث الثاني حفظ القرآن الكريم

المطلب الأول : حفظ القرآن الكريم في السماء :

لقد حظي كتاب الله عز وجل بالحفظ والعناية منذ أن كان في السماء حيث أودعه الله كتاباً مكنوناً وأقسم الله تعالى على هذه الحقيقة بقسم عظيم فقال : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ التَّجْوِيرِ ۖ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوْعَّلَمُونَّ عَظِيمٌ ۖ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۖ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۖ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۖ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ (الواقعة : ٧٥ - ٨٠) .

وقال عز وجل : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۖ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۖ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۖ ﴾ (عبس : ١٣ - ١٦) . فهو في اللوح المحفوظ ، مصون مستور عن الأعين ، لا يطلع عليه إلا الملائكة المقربون ، ولا يمسه في السماء إلا الملائكة الأطهار ، ولا يصل إليه شيطان ، ولا يُنال منه ^(١) فالشياطين لا تمس هذا الكتاب ، وليس لها سبيل إليه ، وإنما تحف به الملائكة المقربون ، ويؤكد الله تعالى وصفه بكونه مكنوناً بوصفه بكونه محفوظاً في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ نَّجِيدٌ ۖ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۖ ﴾ (البروج : ٢١ ، ٢٢) .

(١) انظر الضوء المنير جمع الصالحى ٥ : ٥٨٧ .

المطلب الثاني : حفظ القرآن الكريم في طريقه إلى الأرض :

حفظ الله عز وجل القرآن الكريم وهو في طريقه إلى الأرض فجاء به روح مطهر، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل، ولا وصول لها إليه، قال تعالى : ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿١١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الشعراء : ٢١٠ ، ٢١١) ، وإنما تناله الأرواح المطهرة وهم الملائكة (١) وحفظه من الشياطين التي كانت تسترق السمع طلباً لخبر السماء، فحفظه بالحرس الأقوياء من الملائكة، وبالكواكب التي تحرق وتمنع من أراد استراق السمع .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مُلْبَتً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعْ أَلاَّنْ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الجن : ٨ - ١٠) .

وقال عز وجل : ﴿ وَحَفَظَّا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَلَا يُفْذَنُّونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن حَظَّفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شُهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (الصافات : ٧ - ١٠) .

إذن حفظ الله عز وجل القرآن الكريم وهو في السماء، وعند نزوله منها، وبعد نزوله إلى الأرض . وهو ما سنتحدث عنه في المطلب التالي .

(١) انظر الضوء المنير ٥ : ٥٨٦ .

المطلب الثالث : حفظ القرآن الكريم على الأرض :

لقد حفظ الله عز وجل القرآن الكريم على الأرض بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استقبله فأحسن الاستقبال، وحفظه أتم حفظ، وقام به خير قيام، وبلغه أحسن تبليغ والشواهد على ذلك كثيرة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْكُمْ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴾ (القيامة : ١٦-١٩) . فكان صلى الله عليه وسلم حين نزول القرآن عليه يتعجل ويبادر بأخذه، واختلف في سبب ذلك .

ف قيل : لما يجده من المشقة عند النزول، فيتعجل لتزول المشقة سريعاً .

وقيل خشية منه صلى الله عليه وسلم أن ينساه، أو يتفلت منه شيء .

وقيل : لأجل أن يتذكره .

وقيل : من حبه إياه .

قال ابن حجر - بعد ذكر هذه الأسباب - " ولا بعد في تعدد السبب " (١) .

(١) فتح الباري ج ٨، ص ٥٢٤ .

ومما ورد في تفسير هذه الآيات ما أخرجه البخاري وغيره عن موسى بن أبي عائشة أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ قال: قال ابن عباس: "كان يحرك شفثيه إذا أنزل عليه، ف قيل له: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ يَخْشَى أَنْ يَتَفَلَّتَ مِنْهُ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: أنزل عليه ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿إِنَّ أَنْبِيَاءَهُ﴾ على لسانك" (١).

وأخرج البخاري أيضاً عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفثيه، فيشتد عليه، وكان يُعرف منه فأنزل الله الآية التي في "لا أقسم بيوم القيامة" ﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قال: علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علينا أن نبينه بلسانك. قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله" (٢).

(١) الأثر أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة القيامة، باب (إن علينا

جمعه وقرآنه) صحيح البخاري ج ٦، ص ٧٦.

(٢) الأثر أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة القيامة، باب (فإذا قرأناه

فاتبع قرآنه). صحيح البخاري ج ٦، ص ٧٦، ٧٧.

إذا تدل هذه الآيات على تكفل الله المطلق لهذا القرآن : وحيًا، وحفظًا، وجمعًا، وبيانًا، وأن على الرسول صلى الله عليه وسلم التلقي والاتباع ثم البلاغ، فكان كلما نزلت عليه آية أو آيات جمعها الله له في صدره، فوعاها قلبه، واشتغل بها لسانه لنفسه وللمسلمين .

٢- قوله تعالى : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۝١ ﴾ (الأعلى : ٦) حيث تكفل الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم برفع مشقة استظهار القرآن وحفظ قلبه له فلا ينسى ما يقرئه ربه .

٣- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على حفظ القرآن الكريم ومدارسته في كل أوقاته، فكان يحيي الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة عبادةً، وتلاوةً، وتدبراً لمعانيه، حتى تفتطرت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالاً لأمر الله تعالى القائل : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ۝١ فِرَاقٌ لِّلْإِلَاقِيلَا ۝٢ نَضْفَهُ ۝٣ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٤ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ۝٥ وَرَقِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَرْتِيلَا ۝٦ ﴾ (المزمل : ١-٤) .

٤- مدارس جبريل عليه السلام القرآن للرسول صلى الله عليه وسلم مع تكفل الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم بحفظه وجمعه في صدره حتى لا يضيع منه شيء ، فإن جبريل -عليه السلام- لم يكتف بتبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤه على جبريل عليه السلام في كل عام مرة حتى يزداد ثبات قلب النبي صلى الله عليه وسلم به .

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان؛ لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يَعْرِضُ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريلُ كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة" (١).

وعندما دنا أجل النبي صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل بالقرآن مرتين فقد ورد في صحيح البخاري: قال مسروق عن عائشة رضي الله عنها، عن فاطمة عليها السلام: "أَسْرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ جَبْرِيلُ يَعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي" (٢).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: "كان يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قَبِضَ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عَشْرِينَ فِي الْعَامِ الَّذِي قَبِضَ" (٣).

٥- تعليم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بنفسه:

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ج٦، ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) صحيح البخاري ج٦، ص ١٠١ في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ج٦، ص ١٠١.

فقد باشر النبي صلى الله عليه وسلم تعليم المسلمين القرآن بنفسه، وأمره الله عز وجل بأن يقرأه على الناس على مكث، أي: تؤدّة وتمهل، كي يحفظوا لفظه ويفقهوا معناه. كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝﴾ (الإسراء: ١٠٦).
وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "والله لقد أخذتُ من في رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة" (١).

وأخرج عنه أنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزلتْ عليه " والمرسلات"، وإنا لنتلقاها من فيه" (٢).
وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا القرآن، فإذا مرَّ بسجود القرآن سجد وسجدنا معه" (٣).

وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا التشهد كما يُعَلِّمُنَا السورة من القرآن" وفي رواية ابن رُمح "كما يُعَلِّمُنَا القرآن" (٤).

(١) الأثر أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ج ٦، ص ١٠٢.

(٢) الأثر أخرجه البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة والمرسلات. صحيح البخاري ج ٦، ص ٧٧.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٢، ص ١٥٧.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة. صحيح مسلم ج ١، ص ٣٠٢، ٣٠٣، رقم ٦٠.

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمور كما يُعَلِّمُنَا السورة من القرآن" (١).

وأخرج الطبري عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئونا: أنهم يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يُخَلِّفوها حتى يعلموا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً" (٢).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا عجز أحدهم عن تفريغ وقت لتحصيل القرآن الكريم مباشرة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم أناب عنه من يحصل عنه .

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نتناوبُ النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتهُ بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعلَ مثل ذلك" (٣).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد بالليل، باب ما جاء في التطوع مثني مثني. صحيح البخاري ج ٢، ص ٥١.

(٢) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره ج ١، ص ٣٦، والإمام أحمد بن حنبل في المسند ج ٥، ص ٤١٠.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب التناوب في العلم. صحيح البخاري ج ١، ص ٣١.

وكان من نتيجة ذلك أن كثر الحفاظ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرضون على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ويقرؤونه عليه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ علي"، قلتُ: أقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال: "فإني أحب أن أسمع من غيري"، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١) قال: "أمسك"، فإذا عيناه تذرفان^(١). وكان مسجده صلى الله عليه وسلم عامراً بتلاوة القرآن يضج بأصوات الحفاظ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا.

وكان كل حافظ للقرآن ينشر ما حفظه، ويعلمه للأولاد والصبيان والذين لم يشهدوا نزول الوحي، بل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الحفاظ ليعلمه حفظ القرآن الكريم، فشاع حفظه بين الرجال والنساء، حتى إن المرأة المسلمة كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهراً لها، ومما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد قال: "أتت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة النساء باب (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا). صحيح البخاري ج ٥، ص ١٨٠.

امراً فقالت، إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ما لي في النساء من حاجة فقال رجل: زوجنيها، قال: أعطها ثوباً، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتماً من حديد، فاعتلّ له، فقال: ما معك من القرآن؟ قال: كذا وكذا، قال فقد زوجتكها بما معك من القرآن" (١).

وخير دليل على كثرة الحفاظ في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قتل منهم في بئر معونة (٢) المعروفة بـ "سرية القراء" سبعون رجلاً، كما قتل منهم يوم اليمامة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سبعون قارئاً.

وذكر أبو عبيد في كتابه "القراءات" عدداً كبيراً من القراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر كثيراً من المهاجرين، وكثيراً من الأنصار، وبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٣).

ويتبين من ذلك أن الله عز وجل حفظ القرآن على الأرض بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أصحابه رضوان الله عليهم

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. صحيح البخاري ج ٦، ص ١٠٨.

(٢) بئر معونة: موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان، وتعرف هذه الموقعة بـ (سرية القراء) وكانت مع رعل وذكوان، ووقعت بعد أحد مباشرة أي: في حدود سنة ٤هـ. انظر خبرها في صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب العون بالمدد ج ٤، ص ٣٥.

(٣) انظر قوله في المرشد الوجيز ص ٤٠، ٤١، والبرهان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٤٢، والإتقان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٤٨ النوع العشرين.

والتابعين وكافة المؤمنين بعد ذلك، ولعل من أبرز دواعي حفظه -غير تكفل الله عز وجل بحفظه- ما يلي:

١- مجيء القرآن الكريم معجزاً متميزاً في نظمه، فريداً في أسلوبه، لا يطاوله كلام البلغاء، ولا تدنو منه فصاحة الفصحاء، وكان الصحابة ينتظرونه بشغف ويتمنون أن يتلقوه فور نزوله، كما كان أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم يحرصون على سماعه، إما للبحث عن نقط ضعف فيه تعينهم على مغالبتة أو مهاجمته، وإما لإشباع حاجتهم الملحة في التذوق الأدبي، ويمكننا أن نتصور إذن مدى الاهتمام الذي كان يثبته القرآن في نفوس المؤمنين والكافرين على السواء^(١).

٢- تشريع قراءة القرآن الكريم في الصلاة فرضاً كانت أم نفلاً، سراً أم جهراً، مما جعلهم يحرصون على حفظ القرآن الكريم لأداء هذه العبادة. أخرج مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم

(١) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم ص ٣٤، وأضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص ٢٨-٣٦.

افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع...^(١).

٣- ارتباط القرآن الكريم بالتشريعات، فإن كثيراً من آياته تحوي أحكاماً في العبادات: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأحكاماً في المعاملات كالبيع والشراء والدين، وأحكاماً في سائر أمور الحياة، فلا بد أن يستظهروه ليعملوا بمقتضاه^(٢).

٤- الترغيب في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتعلمه وتعليمه، وقد ورد ذلك في القرآن نفسه، وفي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أكثر من أن تحصى ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ سَرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ۖ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠) وقوله تعالى في الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الرب عز وجل من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين، وفصل كلام

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل. صحيح مسلم ج ١، ص ٥٣٦.

(٢) انظر أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص ٢٨، ٢٩.

الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه" (١).

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران " (٢).
وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشدُ تَفَصُّياً (٤) من الإبل في عقلها " (٥).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب رقم ٢٥، سنن الترمذي ج ٥، ص ١٨٤، والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، سنن الدارمي ج ٢، ص ٣١٧.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه. صحيح مسلم ج ١، ص ٥٤٩.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن. باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح البخاري ج ٦، ص ١٠٨.

(٤) تفصيًّا: أي تفلتًا.

(٥) عقلها: أي الإبل المشدودة بالعقال، وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير. والحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب استذكار القرآن وتعاذه. صحيح البخاري ج ٦، ص ١٠٩، ١١٠.

٥- سهولة حفظ القرآن الكريم وتيسيره، فكان من رحمة الله على خلقه أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، ليجعل من ذلك سبباً مانعاً من ضياع شيء منه، فكما قال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). فقد قال أيضاً ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (سورة القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠).

المبحث الثالث

كتابة القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن الكريم، وإقراءه لأصحابه، وحثهم على تعلمه وتعليمه، بل جمع إلى ذلك الأمر بكتابته وتقييده في السطور، فكان كلما نزل عليه نجم دعا الكتاب فأمله عليهم فيكتبونه، وبذلك كان القرآن مكتوباً كله بأمره في عهده صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: الأدلة على كتابة القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم:

لقد وردت أدلة كثيرة تدل على كتابة القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم ومبادرته بالأمر بكتابته أذكر منها ما يلي:

١- إطلاق لفظ الكتاب على القرآن الكريم في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى﴾ (البقرة: ٢).

فالكتاب يدل على أن القرآن مكتوب^(١).

٢- أن الكتابة من الصفات الثابتة للقرآن الكريم حيث قال عز وجل: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۖ فِيهَا كُتِبَ قِیمَةٌ﴾ (البينة: ٢، ٣).

(١)يراجع مبحث معنى جمع القرآن.

قال الفخر الرازي في تفسيره لهاتين الآيتين: "فاعلم أن الصحف جمع صحيفة، وهي ظرف للمكتوب"^(١).

٣- ما ورد من الأحاديث الدالة على وجود القرآن الكريم مكتوباً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك:

ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يُسَافَر بالقرآن إلى أرض العدو"^(٢). وفي لفظ لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسافروا بالقرآن، فإنني لا آمن أن يناله العدو".

وما أخرجه مالك والدارمي وأبو عبيد في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن حزم: "أن لا يمس القرآن إلا طاهر"^(٣). وغير ذلك من الأخبار الدالة على أن القرآن الكريم كان مكتوباً في عهده صلى الله عليه وسلم.

٤- إذنه صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن الكريم، أخرج مسلم

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣٢، ص ٤٢.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب السفر بالمصحف إلى أرض العدو صحيح البخاري ج ٤، ص ١٥، ومسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار. صحيح مسلم ج ٣، ص ١٤٩٠.

(٣) الحديث أخرجه مالك في كتاب القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، الموطأ ج ١، ص ١٩٩، والدارمي في كتاب الطلاق باب لا طلاق قبل نكاح، سنن الدارمي ج ٢، ص ٨٤. وأبو عبيد في كتاب فضائل القرآن ص ٢٤٤.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"^(١). فهذا الحديث يدل على نهى النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عن كتابة شيء غير القرآن^(٢)، وأن القرآن كان مأذوناً لهم في كتابته.

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كُتَّاب يكتبون له الوحي، وكان يأمرهم بكتابته فور نزوله، أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: "لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ٩٥). دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضَرَّارَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾". وفي رواية أخرى عن البراء قال: "لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ادعوا فلاناً"، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال: "اكتب" لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله" وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله أنا ضرر، فنزلت مكانها ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣).

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم. صحيح مسلم ج ٤، ص ٢٢٩٨.

(٢) نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث النبوي كان هذا في أول الأمر خشية أن يلتبس القرآن بالسنة، أو لأجل أن يخص القرآن بالعناية.

(٣) الحديثان أخرجهما البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة النساء، باب "لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله". صحيح البخاري ج ٥، ص ١٨٢، ١٨٣.

وأخرج ابن أبي داود أن زيد بن ثابت قال: "كنت جار رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي" (١).

وأخرج البخاري وغيره أن أبا بكر قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: "كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم" (٢). فهذه الأحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي ويدعوهم لكتابته فور نزوله.

٦- توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للكتاب بأن يضعوا الآية أو الآيات التي تنزل في مواضعها من سورها، ويدل على ذلك الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان رضي الله عنهم قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان، ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: "ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وينزل عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وينزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة

(١) الحديث أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج ٦، ص ٩٨.

التي يذكر فيها كذا وكذا" (١).

٧- مراجعته صلى الله عليه وسلم للكتاب بعد كتابتهم لما ينزل فقد أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت أنه قال: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله وهو يملي عليّ، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه" (٢).

المطلب الثاني: كتاب الوحي:

كان للنبي صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون له ما ينزل عليه من آي الذكر الحكيم وسوره، وما يحتاجه من مكاتبات في شؤون الرسالة والدعوة وحوائج الناس (٣) واختلفت المصادر في تعدادهم وذكرهم، حتى أوصله بعضهم إلى أربعة وأربعين كاتباً (٤) ولعل السبب في ذلك هو جمعهم بين من كتب التنزيل وغيره وبين من كتب في شؤون الرسالة والدعوة ونحوها دون التنزيل، أو بين من كتب التنزيل بصفة رسمية وبين من كتبه لنفسه.

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ج ١، ص ٥٧-٦٩، والترمذي في كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة. سنن الترمذي ج ٥، ص ٢٧٢، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب ماجاء من جهر بها. سنن أبي داود ج ١، ص ٢٦٨. والحاكم في المستدرک ج ٢، ص ٢٢١-٣٣٠ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط ج ٢، ص ٥٤٤.

(٣) ككتابه إلى النجاشي في مهاجري الحبشة، وكتابه إلى مصعب بن عمير بالمدينة لإقامة صلاة الجمعة، وصلح الحديبية، وغير ذلك.

(٤) انظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ج ١، ص ٢٩.

والذي اشتهر بكتابة التنزيل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
كتاب هم :

١- عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري أول من كتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة، حيث لم يكن بها أحد يعرف
الكتابة سوى نفر قليل. وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كاتباً
للتنزيل في أول الأمر، ثم أزاله الشيطان وأغواه فارتد عن الإسلام، ولما
كان يوم فتح مكة أسلم وحسن إسلامه وعاد لكتابة التنزيل توفي سنة
٣٦هـ^(١).

٢- عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي، ثالث الخلفاء
الراشدين، وهو ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم التنزيل وغيره،
يقول الذهبي: "هو أفضل من قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم".
وقد شاء الله عز وجل أن يستقر المصحف على هيئته الخالدة على يده
رضي الله عنه. توفي سنة ٣٥هـ.

٣- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، رابع
الخلفاء الراشدين، وهو ممن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر
التنزيل، كما كتب له كثيراً من العهود وعقود الصلح. توفي رضي
الله عنه سنة ٤٠هـ.

٤- أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، أول من كتب للنبي

(١) انظر: كتاب الوحي ص ٣٢٥.

صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة، كما كان يكتب ما يأمره به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتب والرسائل وهو سيد القراء توفي سنة ٣٠ هـ .

٥- زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، كان أكثر الكتاب ملازمة للكتابة حيث لا عمل له غير ذلك، ولكثرة تعاطيه ذلك خصه البخاري في صحيحه بتسميته "كاتب النبي صلى الله عليه وسلم" (١) توفي سنة ٤٥ هـ .

٦- معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، طلب أبوه من النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أن يجعله كاتباً بين يديه، فكان بعد ذلك ملازماً للكتابة بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم في التنزيل وغيره توفي سنة ٦٠ هـ (٢) .

هؤلاء ستة كُتَّاب للتنزيل كتبوه بصفة رسمية بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يضعون ما يكتبون في حجرات النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعني هذا أن الوحي لم يكتبه غيرهم، فقد كتبه غيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم كأبي بكر وعمر وابن مسعود وغيرهم، ولكن هذه الكتابة كانت لأنفسهم دون تكليف من الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) صحيح البخاري ج ٦، ص ٩٩ كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) انظر: كتاب الوحي، وفتح الباري ٩ : ١٩ .

وممن كتب في شؤون الرسالة والدعوة وحوائج الناس :

- ١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
 - ٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 - ٣- حنظلة بن الربيع رضي الله عنه وغلب عليه اسم "الكاتب" .
 - ٤- الزبير بن العوام رضي الله عنه .
 - ٥- خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه .
 - ٦- ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه .
 - ٧- المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .
 - ٨- معاذ بن جبل رضي الله عنه .
- وغيرهم^(١) .

المطلب الثالث : الأدوات التي كتب عليها الوحي :

كان كتاب الوحي يكتبون القرآن فيما كان ميسراً لهم في زمنهم،
ومن الأدوات التي كتب فيها :

- ١- الرُّقَاع: وهي جمع رقعة، وهي القطعة من الجلد وقد تكون من غيره كالقماش أو الورق، وهو غالب ما كتب عليه الوحي . قال زيد بن ثابت : "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"^(٢) .

(١) انظر: كتاب الوحي ٦٥ .

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٥، ص ١٨٥ .

٢- **الأكتاف**: وهي جمع كتف، وهي عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان^(١) قال السيوطي: "هي العظم الذي للبعير أو الشاة"^(٢). قال زيد بن ثابت بعد أن أُمر بجمع القرآن: "فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعصب وصدور الرجال"^(٣).

٣- **العُصْب**: وهو جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض^(٤).

٤- **اللِّخَاف**: وهو جمع لَخْفَة، وهي صفائح الحجارة^(٥) قال زيد ابن ثابت: "فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف"^(٦).

٥- **الأقتاب**: وهو جمع قتب، وهو قطع الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليه الإنسان^(٧)، قال زيد بن ثابت في رواية ابن أبي داود: "فجمعت القرآن أجمعه من الأكتاف والأقتاب والعصب

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ١٥٠.

(٢) الإتيقان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٠٧ النوع الثامن عشر.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة براءة، باب قوله: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) صحيح البخاري ج ٥، ص ٢١٠.

(٤) الإتيقان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) انظر: الصحاح ٤: ١٤٢٦ مادة "لحف".

(٦) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن. صحيح البخاري ج ٦، ص ٩٨.

(٧) الإتيقان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٠٧.

وصدور الرجال" (١).

ومما كانوا يكتبون فيه: الصحف والألواح والكرانيف وغيرها (٢).

المطلب الرابع: الصفة التي كتب عليها القرآن في عهد النبي

صلى الله عليه وسلم:

بعد أن بينا أن القرآن الكريم كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، يمكننا أن نقرر بأن القرآن الكريم لم يستظهر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل دُون كاملاً وهذا التدوين اتصف بصفات أبرزها:

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن الكريم كله كان مكتوباً، كتبه كُتَّاب خاصون بهذه المهمة، وبتوجيهات منه صلى الله عليه وسلم لهم.

٢- أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن الكريم كان عاماً، ولم يكن بجمعه في صحف؛ ولهذا لم يكن مجموعاً في مكان ومصحف واحد، قال زيد بن ثابت: "قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء" (٣).

٣- أن كتابة القرآن الكريم تمت على أدوات متنوعة وغير متجانسة مما جعله غير مرتب ومحصور بين دفتين.

(١) الحديث أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ص ٨، ٩.

(٢) انظر فتح الباري ج ٩، ص ١١، الكرانيف: أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة.

(٣) الإتيقان ١ / ١٦٤.

٤- أنه لم يكن مرتب السور، لأنه كتب أولاً بأول على حسب نزوله، وترتيب القرآن الكريم ليس على حسب النزول بالإجماع. مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن علّم الصحابة بترتيب القرآن الكريم سوراً وآيات، حتى صاروا يقرؤون القرآن الكريم كاملاً مرتباً على نحو ما أمر به صلى الله عليه وسلم بتعليم من جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في كل عرضة يعرض فيها القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الخامس: السبب في عدم جمع القرآن الكريم في مصحف

واحد في عهده صلى الله عليه وسلم:

لم يجمع القرآن الكريم في عهده صلى الله عليه وسلم على هيئة مصحف لأسباب منها:

١- ما كان يترقبه النبي صلى الله عليه وسلم من تتابع نزول الوحي حيث كانت تنزل بعض آيات سورة من السور، وتنقطع بنزول آيات سورة أخرى - قبل تلك السورة أو بعدها - ثم يستأنف الوحي آيات السورة الأولى .. وهكذا حتى كمل التنزيل. ولا شك والحالة هذه استحالة جمع القرآن الكريم مباشرة عند نزوله في مصحف واحد، إذ يلزم ذلك تغييراً مستمراً في الأدوات التي كتب عليها^(١).

يقول الزركشي: "وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه عليه

(١) انظر: "موجز علوم القرآن" ص ١٥٩.

وسلم مصحف، لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم^(١).

٢- أن ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره لم يكن على حسب النزول، بل على حسب ما هو في اللوح المحفوظ الذي بُلِّغَ النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام.

فلو كتب القرآن مرتباً حسب نزوله لخالف ترتيبه في اللوح المحفوظ، ولوقع اضطراب في كثير من آياته وتداخلت آيات سورة بآيات أخرى بما يتنافى وإعجازه^(٢).

٣- أن المدة بين آخر ما نزل من القرآن الكريم ووفاته صلى الله عليه وسلم قصيرة جداً، وهي غير كافية لجمع القرآن بين دفتي مصحف واحد.

٤- أنه لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد مثل ما وجد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بخير وأمن، والقراء كثيرون، والفتنة مأمونة، وفوق هذا الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه من مقتل الحفاظ حتى خاف على ضياع القرآن الكريم.

(١) البرهان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٦٢.

(٢) انظر: "جمع القرآن بين الحقائق الثابتة والشبهات الهابطة" ص ٤٣.

المبحث الرابع

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لما تولى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت بعض القبائل العربية ممن دخلت في الإسلام حديثاً، وامتنع بعضها عن دفع الزكاة، فجهز الجيوش لمحاربة المرتدين، ووجه خالد بن الوليد - رضي الله عنه - في جيش كبير إلى اليمامة - قوم مسيلمة الكذاب - وذلك سنة اثنتي عشرة للهجرة، فدارت معركة حامية الوطيس، انتهت بقتل مسيلمة، وهزيمة قومه، وعودة مَنْ سَلِمَ منهم إلى الإسلام. كما استشهد فيها عدد كبير من الصحابة قدروا بخمسمائة^(١)، وقيل ستمائة وستون^(٢) وقيل سبعمائة^(٣) وكان من بين هؤلاء سبعون قارئاً، منهم سالم مولى أبي حذيفة - أحد الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم - وقد هال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشعر خطورة الأمر بذهاب شيء من القرآن بموت بعض القراء والحفظة من الصحابة، ففزع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن الكريم وكتابته في

(١) ذكره ابن كثير في فضائل القرآن. انظر: تفسير ابن كثير، تحقيق سامي سلامة

ج ١، ص ٢٦.

(٢) ذكر ذلك ابن الأثير في الكامل ج ٢، ص ٢٤٧.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري ج ٩، ص ٩.

مصحف واحد بدلاً من وجوده متفرقاً في صحف متعددة^(١). وفي هذا الأمر يروي لنا البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: "أرسل إليّ أبو بكر الصديق، مقتل أهل اليمامة^(٢)، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحرّ^(٣) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر^(٤): كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجلٌ شابٌ عاقلٌ لا نتهمك، وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله^(٥) لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلتُ: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله

(١) انظر: أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص ٣٩ وانظر:

تفصيل وقعة اليمامة في البداية والنهاية لابن كثير ج ٦، ص ٣٢٣.

(٢) أي: عقب مقتل أهل اليمامة، والمراد بهم هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة المشهورة.

(٣) أي: اشتد وكثر.

(٤) أي: قال أبو بكر لعمر، حكاه ثانياً لزيد.

(٥) أي: قال زيد.

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : هو والله خير، فلم يزلُ أبو بكر يراجعُني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبعْتُ القرآنُ أجمعه من العصب واللُّخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدُها مع أحدٍ غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾^(١) حتى خاتمة براءة، فكانت الصُّحُفُ عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عُمرَ حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها^(٢).

ونستطيع أن نستخلص من هذا الحديث وغيره من أحاديث جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه عدة أمور، أوجزها في المطالب التالية :

المطلب الأول : عناية الصحابة بالقرآن الكريم :

تدلنا الروايات التي وردت حول وقعة اليمامة وحديث جمع القرآن الكريم على مدى العناية والاهتمام من الصحابة رضوان الله عليهم بالقرآن الكريم . فكان حفظ القرآن الكريم شعاراً لهم في وقعة اليمامة، حيث كانوا يتنادون به، ويشجعون أنفسهم أمام قوة عدوهم بعبارات

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن صحيح البخاري ج ٦، ص ٩٨، وانظر فتح الباري ج ٩، ص ٩-١٣ .

تدل على حفظهم للقرآن الكريم، ومن العبارات التي وردت على ألسنتهم عندما حمى الوطيس قولهم: "يا أصحاب سورة البقرة" وقول سالم مولى أبي حذيفة -للمهاجرين عندما خشوا أن يؤتوا من قبله- "بئس حامل القرآن أنا إذا" وقول أبي حذيفة: "يا أهل القرآن: زينوا القرآن بالفعال"^(١).

كما نلاحظ فزع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما علم بكثرة القتلى من القراء، وخشي أن يشتد في مواقع أخرى ويكثر القتلى منهم فيذهب كثير من القرآن. ودار حوار بينهما حول كيفية العمل والحال ما وقع، ثم استدعى الخليفة أبو بكر الصديق زيد بن ثابت رضي الله عنه وأمره بجمع القرآن الكريم فدل ذلك على مدى اهتمامهم بالقرآن الكريم حيث جعلوه من أولويات عملهم، بعد أن تناقش الجميع في الأمر وانتهوا إلى ما انتهوا إليه.

فهذا الحرص من الصحابة رضوان الله عليهم لم يقتصر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تعداه وأشد إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر البداية والنهاية ج٦، ص٣٢٤، وجمع القرآن بين الحقائق الثابتة والشبهات

الهابطة ص٩٠.

المطلب الثاني : سبب تردد أبي بكر الصديق في قبول عرض عمر رضي الله عنهما بجمع القرآن :

نلاحظ من الحديث السابق الذي رواه البخاري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه تردد في أول الأمر في قبول عرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم . ولعل السبب في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه ظن أن جمع القرآن الكريم كله في مصحف واحد بدعة في الدين ، فخاف أن يحدث فيه ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم أو يأمر به ، ولذلك قال رضي الله عنه : " كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ " قال ابن بطال : " إنما نفر أبو بكر أولاً ، ثم زيد بن ثابت ثانياً ، لأنهما لم يجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول " (١) .

ولكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ يقنع أبا بكر بصواب الفكرة ، وأن في هذا الأمر خيراً ، ولم يزل به حتى اقتنع بأهمية ذلك ، ولذا قال : " فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك " .

(١) فتح الباري ج ٩ ، ص ١١ .

وبالإقناع نفسه اقتنع زيد في آخر الأمر حيث قال: "لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما".

قال ابن حجر: "وقد تسول لبعض الروافض أنه يتوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف فقال: كيف جاز أن يفعل شيئاً لم يفعله الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟ والجواب: أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصيحة منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أذن في كتابة القرآن، ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً. ثم قال: وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد من فضائله، وينوه بعظيم منقبته لثبوت قوله صلى الله عليه وسلم: "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"^(١) فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة"^(٢).

ومن هنا يتبين أن عمل أبي بكر رضي الله عنه لم يكن بدعة في الدين، ويكفي دليلاً على ذلك إجماع الصحابة رضوان الله عليهم

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو

كلمة طيبة. صحيح مسلم ج ٢، ص ٧٠٥.

(٢) فتح الباري ج ٩، ص ١٠.

على استحسان عمله ومشاركتهم فيه ، وقد عبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك بقوله : " أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع بين اللوحين " (١) .

المطلب الثالث : سبب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر

الصديق :

دلت الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن سبب جمعه يعود إلى خوف الصحابة رضوان الله عليهم من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفاظه باستشهادهم في المعارك أو موتهم ، فكتابته مجموعاً في مصحف واحد فيه أمان وحفظ له مما قد يحصل في المستقبل ، ويدل لهذا ما أفصح عنه عمر رضي الله عنه بقوله : " إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإنني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن " . فذهاب بعض القراء قد يعني ذهاب الآخرين ، فبهذا العمل أمكن تدارك الأمر منذ بدايته (٢) .

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ١٥٥ ، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٥ ، وأورده ابن كثير وقال عنه : إسناده صحيح ، تفسير القرآن العظيم (فضائل القرآن) ج ١ ، ص ٢٥ . وانظر : أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ٤٥-٤٧ وجمع القرآن ص ٩٤ .

(٢) انظر : أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف ص ٦١ ، وجمع القرآن ص ٩١ .

المطلب الرابع: سبب اختيار زيد بن ثابت رضي الله

عنه:

لقد أبان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كلامه الصفات التي جعلته يختار زيد بن ثابت رضي الله عنه لمهمة جمع القرآن الكريم حيث قال: "إنك رجل شاب، عاقل، لا انتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه" ويمكن إيضاحها بما يلي:

١- إنه شاب يتوفر فيه النشاط والحماسة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وحتى لا تفتر عزيمته أثناء العمل.

٢- إنه عاقل فطن يحسن التصرف، فيكون أوعى لما يعمل به، وحتى لا يقع في عمله نقص أو خلل.

٣- إنه غير متهم في دينه لا يتطرق إليه تجريح أو تفسيق فلا يكون في عمله أدنى ريبة أو شك، وقد استشعر هو خطورة المهمة وضخامتها حيث قال: "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن".

٤- إنه أحد كتبة الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلديه التجربة العملية والخبرة الميدانية أمام من نزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم ويكفي بها مزية.

هذا ما ذكره أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ويمكن أن يضاف إلى ذلك :

— حسن خطه وشدة ضبطه .

— شهوده العرضة الأخيرة للقرآن، قال أبو شامة : " قال أبو عبد الرحمن السلمي : قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كَتَبَ المصاحف، رضي الله عنهم أجمعين^(١) .

المطلب الخامس : منهج جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق :

حينما اقتنع الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم، أمر عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما بالبدء بهذه المهمة وسارا وفق منهج محدد بالاعتماد على مصدرين معاً هما :

الأول : ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني : ما كان محفوظاً في صدور الرجال .

(١) المرشد الوجيز ص ٩٦ .

ويدل لهما قول زيد بن ثابت - في الحديث السابق - الذي أخرجه البخاري: "فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف ، وصدور الرجال".

فقوله: "من العصب واللخاف" دليل على المكتوب، وقوله: "صدور الرجال" دليل على المحفوظ.

وما ذكره السيوطي عن موسى بن عقبة في مغازيه عن ابن شهاب قال: "لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم، وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف"^(١).

فقوله: "فأقبل الناس بما كان معهم" يدل على إتيان الناس بالمحفوظ. وقوله: "وعندهم" بالمكتوب^(٢).

ويقصد بالحفظ أنهم لم يقبلوا شيئاً من القرآن إلا إذا كان محفوظاً عن ظهر قلب. وهذا الشرط كان ميسوراً، لأن القرآن الكريم كان محفوظاً في صدور الصحابة.

أما الكتابة فيقصد بها أن يكون كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم. أما ما كان بأيدي الصحابة من القرآن المكتوب، فكان

(١) الإتيان في علوم القرآن ج ١، ص ٢٠٧ النوع الثامن عشر.

(٢) انظر: جمع القرآن ص ١٠٢. والبيان في مباحث من علوم القرآن ص ١٧٦، ١٧٧.

يطلب من الصحابي الذي يتقدم به أن يُشهد على أن هذا المكتوب كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أو روجع على قراءته، أو سمعه وأقره. ويؤكد هذا ما قاله أبو بكر لعمر وزيد رضي الله عنهم: "اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه" (١).

كما يدل عليه ما أخرجه ابن أبي داود عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب قال: قال عمر: "من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان" (٢).

وليس المقصود بالشهادة هنا على قرآنية المكتوب، فقرآنيته بلا شك ثابتة متواترة بحفظ المئات من الصحابة، وإنما على أنه كتب بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فكما هو معلوم كان للصحابة رضوان الله عليهم مصاحف خاصة بهم كتبوها في بيوتهم لأنفسهم.

قال أبو شامة موضحاً ذلك: "لم تكن البيئة على أصل القرآن، فقد كان معلوماً لهم كما ذكر، وإنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة فطلب البيئة عليها أنها كانت كتبت بين يدي رسول الله

(١) الأثر أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٦، وقال عنه ابن حجر: رجاله ثقات مع انقطاعه. فتح الباري ج ٩، ص ١٢.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١٠.

صلى الله عليه وسلم وبإذنه على ما سمع من لفظه... ولهذا قال:
فليمل سعيد، يعني من الرقاع التي أحضرت، ولو كانوا كتبوا من
حفظهم لم يحتج زيد فيما كتبه إلى من يمليه عليه"^(١).
إذن فالمقصود الشهادة على كونها مكتوبة لا كونها محفوظة،
وهكذا كان منهج الجمع:

عدم الاكتفاء بما سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وعدم الاكتفاء بما كتبه وقت نزول الوحي.
وعدم الاكتفاء بما حفظاه.

ومطالبة الصحابة الآخرين بما حفظوه وكتبوه على أن لا يقبل هذا
المكتوب إلا أن يأتي صاحبه بشاهدي عدل يشهدان على كتابته بين
يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ويطابق ما هو محفوظ في
صدورهم.

المطلب السادس: مدة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر:

استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه قرابة
خمسة عشر شهراً حيث بدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر
السنة الحادية عشرة أو أوائل الثانية عشرة وانتهى قبل وفاة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة
عشرة، وتم ذلك جمعاً وكتابة قبل وفاته رضي الله عنه، ويدل على

(١) المرشد الوجيز ص ٥٩، ٦٠.

ذلك قول زيد بن ثابت، كما في الحديث السابق الذي أخرجه البخاري "فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله" (١).

المطلب السابع: سمات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر

الصديق:

اتسم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بعدة سمات،

من أبرزها:

١- أن كتابته قامت على أدق وسائل التثبيت والاستيثاق، فلم

يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.

٢- أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.

٣- موافقته لما ثبت في العرصة الأخيرة.

٤- اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.

٥- اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرصة الأخيرة.

٦- إجماع الصحابة على صحته ودقته، وعلى سلامته من الزيادة

والنقصان، وتلقيهم له بالقبول والعناية، حتى قال علي بن أبي طالب

رضي الله عنه: "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، فإنه أول من

جمع بين اللوحين" (٢).

(١) انظر: تاريخ الطبري ج ٣، ص ٣٤٣-٤١٩، وأضواء على سلامة المصحف الشريف

٧١، ٧٢.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ١١. وانظر المدخل لدراسة القرآن

ص ٢٧٣، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ١٢٨.

فهذه السمات اجتمعت في الصحف التي جمعها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإن وجدت مصاحف فردية لدى بعض الصحابة كمصحف علي بن أبي طالب، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم إلا أنها لم تكن على هذا النحو ولم تحظ بالتحري والدقة والجمع والترتيب، والاقتصار على القرآن، حيث كانت متضمنة تعليقات وشروحات وأدعية ومأثورات كتبها الصحابة لأنفسهم، فهي خاصة بهم وباستطاعتهم تمييز القرآن من غيره، أما غيرهم فقد لا يستطيع ذلك.

المطلب الثامن : تسميته بالمصحف :

بعد أن أتم زيد جمع القرآن الكريم أطلق على هذا المجموع "المصحف"، فقد روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه المصاحف أنه قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السُّفْر. وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف".

وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه "المصحف" (١). وعلى أي حال فإن المصحف يطلق على مجموع الصحائف المدون فيها القرآن الكريم، أما القرآن فهو الألفاظ ذاتها.

(١) الإتقان في علوم القرآن ج ١، ص ١٨٥ النوع السابع عشر.

المطلب التاسع : خبر هذا المصحف :

دل الحديث السابق الذي أخرجه البخاري على أن المصحف التي جمع فيها القرآن سلمت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فحفظها عنده، حتى توفي سنة ١٣هـ، ثم آلت إلى أمير المؤمنين من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى توفي سنة ٢٣هـ، وبعد وفاته بقيت عند ابنته حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها، لأن عمر رضي الله عنه جعل أمر الخلافة من بعده شورى، فبقيت عندها إلى أن طلبها عثمان بن عفان رضي الله عنه لنسخها، ثم أعادها إليها مرة أخرى، وبقيت عندها حتى أرسل مروان بن الحكم^(١) يسألها إياها فامتنعت، ولما توفيت أرسل مروان إلى أخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما -ساعة رجعوا من جنازة حفصة- ليرسلن إليه بتلك المصحف، فأرسل بها إليه، فأمر بها مروان فشقت، فقال مروان: "إنما فعلتُ هذا، لأن ما فيها قد كتب، وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن

(١) مروان بن الحكم قام بالشام بعدبيعة ابن الزبير بأشهر، فبايعه جماعة من أهل الشام سنة ٦٤هـ، ثم مات في رمضان سنة ٦٥هـ، فكانت ولايته تسعة أشهر وعشرين يوماً، وتولى بعده ابنه عبد الملك بن مروان انظر: "تلقيح فهم أهل الأثر" لابن الجوزي ص ٨٥.

يَرْتَاب فِي شَأْن هَذِهِ الصُّحُفِ مَرْتَابًا، أَوْ يَقُولُ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهَا
لَمْ يَكْتُبْ" (١).

(١) انظر: المرشد الوجيز ص ٥٢، وتاريخ القرآن للأبياري ص ٨٨، ٨٩.

البحث الخامس: جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

عندما جمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه القرآن الكريم كان الهدف الأساس منه كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور، ولم يكن من أهدافه القضاء على المصاحف الخاصة التي جمع فيها بعض الصحابة القرآن الكريم لأنفسهم والتي تضم بعض التفسيرات والأدعية والمأثورات ونحوها، وهم يعلمون أنها ليست من القرآن، أو تركوا تدوين سورة وهم يعلمون أنها من القرآن^(١).

فتعدد المصاحف الخاصة بجوار مصحف أبي بكر، وانتشار القراء في الأمصار نتيجة اتساع الفتوحات الإسلامية، وأخذ كل مصر القراءة ممن وفد إليه من الصحابة، حيث كان كل صحابي يُعَلِّم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أقول: إن ذلك تسبب في تعدد القراءات واختلاف القراء. فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه. وأهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٤٧-٤٩، والمدخل إلى تفسير القرآن وعلومه

وغيرهم يقرؤون بقراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .
فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجوه القراءة، فكان إذا
ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجود هذا
الاختلاف حتى كاد الأمر يصل إلى النزاع والشقاق بينهم وإنكار
بعضهم على بعض وبخاصة من الذين لم يسمعوها من النبي صلى الله
عليه وسلم مباشرة القراءات القرآنية .

أخرج ابن أبي داود عن أيوب عن أبي قلابة قال : " لما كان في خلافة
عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل
الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب :
لا أعلمه إلا قال : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان
فقام خطيباً فقال : أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون، فمن نأى عني من
الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشدّ لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد
واكتبوا للناس إماماً" (١) .

ومن لا حظ الاختلاف في الأمصار حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
المتوفى سنة ٣٦هـ حيث شارك في فتح "أرمينية، وأذربيجان" سنة
٢٥هـ الذي اشترك فيه أهل الشام وأهل العراق، فرأى اختلافاً كثيراً بين
المسلمين في وجوه القراءة، وسمع ما كان يحصل بينهم من تجريح
وتأثير بعضهم البعض، وقرر الركوب إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان

(١) الأثر أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٢١ .

لإخباره بما رأى . أخرج البخاري - قصة ذلك - في الحديث الذي رواه أنس بن مالك حيث قال : " إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح " أرمينية ، وأذربيجان " مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان . فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فنسخوها في المصاحف . وقال للرهط القرشيين الثلاثة : " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم " ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق " (١) .

فأفادت هذه الروايات وغيرها عدة أمور أوجزها في المطالب التالية :

المطلب الأول : فكرة الجمع :

لما سمع عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ما سمع ، وأخبره حذيفة

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن . صحيح

بما رآه، جمع -رضي الله عنه- أعلام الصحابة واستشارهم في علاج هذه الفتنة وذلك الاختلاف، فأجمعوا أمرهم على ثلاثة أمور:

١- أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة.

٢- أن ترسل نسخة إلى كل مصر من الأمصار فتكون مرجعاً للناس منه يقرؤون ويقرئون وإليه يحتكمون عند الاختلاف.

٣- أن يحرق ما عدا هذه النسخ.

ثم شرع عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في تنفيذ هذه الأمور وكان ذلك في أواخر سنة ٢٤هـ وأوائل سنة ٢٥هـ^(١) حيث عهد إلى لجنة من الصحابة من خيرة الحفاظ والكتاب مؤلفة من أربعة أشخاص هم:

١- زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي أحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع المصحف في عهده. توفي سنة ٤٢هـ وقيل ٤٣هـ وقيل ٤٥هـ^(٢).

٢- عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، أحد العبادلة الذين اشتهروا بالعلم، وعنوا بحفظ القرآن الكريم. توفي سنة ٧٣هـ^(٣).

(١) انظر: فتح الباري ج ٩، ص ١٧.

(٢) انظر: الإصابة ج ٤، ص ٤١.

(٣) انظر: الإصابة ج ٦، ص ٨٣.

٣- سعيد بن العاص القرشي الأموي، كان من فصحاء قريش، ومما قيل فيه: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص. لأنه كان أشبه الصحابة بلهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي سنة ٥٣هـ^(١).

٤- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي كان من أشرف قريش، نشأ في حجر عمر، وتزوج بنت عثمان رضي الله عنهم مات سنة ٤٣هـ^(٢).

ويلاحظ أن زيد بن ثابت هو الأنصاري الوحيد أما الثلاثة الآخرون فهم قرشيون، وكان نصيبهم كبيراً، لأن القرآن نزل بلغة قريش. وتشير بعض الروايات إلى أن الذين ساهموا في نسخ المصاحف اثنا عشر رجلاً. حيث أخرج ابن أبي داود عن محمد بن سيرين عن كثير ابن أفلح قال: "لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت"^(٣).

والظاهر أنه لا تنافي بين رواية البخاري التي اقتضت على ذكر الأربعة وبين الروايات الأخرى التي أضافت إليهم خمسة أو سبعة، فرواية البخاري حددت اللجنة الأساسية، والروايات الأخرى أضافت

(١) انظر: الإصابة ج ٤، ص ٤١.

(٢) انظر: الإصابة ج ٦، ص ٨٣.

(٣) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٢٥.

إليهم ممن ساعدتهم بالإملاء والكتابة^(١).

المطلب الثاني : سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن

عفان رضي الله عنه :

بينت لنا الروايات السابقة أن سبب جمع القرآن الكريم في عهد

عثمان بن عفان يمكن إرجاعه إلى ما يلي :

١- رفع الاختلاف والتنازع في القرآن الكريم، وقطع المراء فيه،

وذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يمكن أن يقرأ بها القرآن الكريم.

٢- حماية النص القرآني من أي إضافة أو نقص نتيجة وجود عدد

من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت على ما ليس بقرآن

كالشروح والتفاسير، أو لم يكتب فيها بعض السور لعدم حاجتهم

لكتابتها مع علمهم بأنها من القرآن^(٢).

المطلب الثالث : منهج جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن

عفان رضي الله عنه :

حينما عزم عثمان بن عفان -رضي الله عنه- على جمع القرآن

الكريم وعيّن اللجنة التي تباشر هذا العمل حدّد لها خطوات العمل

الذي يمكن إيجازها بما يلي :

(١) انظر جمع القرآن ١٣٢، وعلوم القرآن لنور الدين عتر ١٧٤.

(٢) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم لدرّاز ص ٤٣، ومدخل إلى تفسير القرآن وعلومه

لزرزور ص ١٢٠، والمدخل لدراسة القرآن ص ٢٧٨.

١- اعتباره الصحف التي جمعها زيد بن ثابت -رضي الله عنه- في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أساساً في نسخ المصاحف حيث أمر عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بإحضارها من حفصة بنت عمر أم المؤمنين حيث قال لها: "أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك".

٢- إشراف عثمان بن عفان -رضي الله عنه- المباشر على الجمع حيث كان يتفقد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام. أخرج ابن أبي داود بإسناده عن كثير بن أفلح أنه قال: "وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه"^(١).

٣- رجوع اللجنة إلى الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك. أخرج البخاري أن ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة) قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ (البقرة: ٢٤٠) قال: قد نسختها الأخرى، قلت: فلم تكتبها؟ أو تدعها؟ قال: يا بن أخي لا أغير شيئاً من مكانه"^(٢).

٤- استيثاق اللجنة مما يكتبونه وبخاصة فيما تعددت فيه القراءة

(١) الأثر أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٢٥.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم). صحيح البخاري ج ٥، ص ١٦٣.

حيث كانوا يسألون مشاهير الصحابة عن كيفية القراءة به لا عن قرآنيته، فإن ذلك عرف في جمع أبي بكر، لأنه -رضي الله عنه- أراد أن تكتب المصاحف في مجموعها على جميع القراءات التي قرأها الرسول صلى الله عليه وسلم، ليقضي على الفتنة التي حدثت بين المسلمين، بسبب جهلهم هذه القراءات .

٥- أن الكتابة تمت بشكل يجمع ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة على أن يكتب بدون تكرار الكلمات، واتفقوا على رسم الكلمات التي بها عدة أوجه بطريقة تجعلها محتملة لأن تقرأ بكل تلك الأوجه، وقد ساعد على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط . قال ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ: " وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم على جبرائيل عليه السلام، متضمنة لها لم تترك حرفاً منها" إلى أن قال " وهذا القول هو الذي يظهر صوابه، لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له... " .

ثم قال: " فكتب الصحابة المصاحف على لفظ لغة قريش والعرضة الأخيرة، وجردوا المصاحف عن النقط والشكل لتحتمله صورة ما بقي

من الأحرف السبعة" (١).

٦- عند اختلاف اللجنة في كتابة كلمة فإنهم يكتبونها بحرف قريش. حيث قال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم" (٢).

فالمقصود بالاختلاف هنا من حيث الرسم والكتابة، لا من حيث الألفاظ والكلمات، ويدل عليه قوله: "فاكتبوه" فيكون المعنى: إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة، فاكتبوها بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها (٣).

المطلب الرابع: نشر عثمان بن عفان المصاحف في الأمصار:

بعد أن تم العمل بنسخ المصاحف، أعاد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- الصحف إلى حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأمر بتوزيع المصاحف على الأمصار؛ ليقضي على التنازع والاختلاف في قراءة القرآن الكريم، فأرسل إلى كل مصر من الأمصار بمصحف من المصاحف التي نسخت، واحتفظ عنده بمصحف سمي "المصحف الإمام" (٤).

(١) النشر في القراءات العشر ج ١، ص ٣١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) راجع في هذا الموضوع: المقنع في رسم المصاحف للداني، في رحاب القرآن

١: ١٥٣، معجم القراءات القرآنية ١: ٤٥.

(٤) الأحرف السبعة ٢٧٢، دراسات حول القرآن لبدران أبو العينين ٧٦-٨٠.

وقد وقع الاختلاف في عدد هذه المصاحف :

١- فقيـل : إنها ثمان نسخ، ذكر ذلك ابن الجزري عن عثمان قال : " فكتب منها عدة مصاحف : فوجه بمصحف للبصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً -الذي يقال له الإمام- ووجه بمصحف إلى مكة، ومصحف إلى اليمن، ومصحف إلى البحرين" (١).

٢- وقيل : إنها أربع نسخ، قال أبو عمرو الداني : " أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعلها على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحداً : الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحداً عنده" (٢).

٣- وقيل : إنها خمس نسخ، قال ابن حجر : " فالمشهور أنها خمسة" (٣) وقرره السيوطي في الإتيان (٤).

وعلى أي حال فإن الجميع يكاد يتفق على خمسة وهي : الكوفي، والبصري، والشامي، والمدني العام، والمدني الخاص، الذي حبسه عثمان لنفسه وهو المسمى بالإمام.

(١) النشر لابن الجزري ١ : ٧.

(٢) المقنع ص ١٠.

(٣) فتح الباري ج ٩، ص ١٨.

(٤) انظر الاتقان ج ١، ص ٢١١ النوع الثامن عشر.

والتي محل خلاف ثلاثة هي : المكي، ومصحف البحرين، واليمن .
وإن كان بعضهم أضاف مصر .

ولم يكتف عثمان -رضي الله عنه- بتوجيه هذه المصاحف إلى تلك البلدان، وإنما اختار حفاظاً يثق بهم فأرسلهم إليها ليقرئوا أهل البلد المرسل إليهم مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف .

١- فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدني .

٢- وبعث عبد الله بن السائب المتوفى سنة ٧٠هـ مع المصحف المكي .

٣- وبعث المغيرة بن شهاب المتوفى سنة ٩١هـ مع المصحف الشامي .

٤- وبعث أبا عبد الرحمن السلمي المتوفى سنة ٧٢هـ مع المصحف

الكوفي .

٥- وبعث عامر بن قيس مع المصحف البصري^(١) .

المطلب الخامس : حرق الصحف والمصاحف الأخرى ورضا الصحابة

عن ذلك :

بعد أن أرسل عثمان -رضي الله عنه- المصاحف التي تم نسخها إلى الأمصار، أمر بما سواها مما كان بأيدي الناس أن يحرق ، كما في حديث أنس السابق الذي أخرجه البخاري : " فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن ص ٢٨٠، ٢٨١ . ومناهل العرفان ج ١، ص ٤٠٣،

مصحف أن يحرق". وقد استجاب الصحابة كلهم لذلك، وقاموا بحرق مصاحفهم، حتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فإنه بعد أن امتنع في أول الأمر رجع طواعية لما علم صواب ذلك، وأن مصلحة الأمة فيما فعله عثمان.

وقد أشار إلى ذلك ابن أبي داود في كتاب المصاحف حيث عقد له باباً سماه: رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف^(١).

وأخرج أيضاً عن سويد بن غفلة قال: قال علي حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعتة^(٢).

وأخرج أيضاً عن مصعب بن سعد قال: "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، وقال: لم ينكر ذلك منه أحد^(٣)".

وجاء في المصاحف عن سويد بن غفلة أنه قال: "والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سمعته يقول: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف

(١) المصاحف ص ١٨.

(٢) المصاحف ص ١٢.

(٣) المصاحف ص ١٢.

إلا عن ملأ منا جميعاً. " ثم قال : قال علي : والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل^(١).

ونقل أبو شامة عن البيهقي في جمع عثمان : " وذلك كله بمشورة من حضره من علماء الصحابة - رضي الله عنهم - ، وارتضاه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وحمد أثره فيه " ^(٢).

وهكذا استطاع عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بهذا العمل الجبار أن يزيل جذور الخلاف ، ويجمع الأمة عبر كل العصور - منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم حتى عصرنا الحاضر - على التزام المصحف الذي أجمعوا عليه ، وحمد له المسلمون ذلك العمل . قال الزركشي : " ولقد وفق لأمر عظيم ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة ، وأراح الأمة " ^(٣).

المطلب السادس : خبر هذه المصاحف :

اعتنت الأمة الإسلامية بهذه المصاحف العثمانية فاتخذتها أصولاً يؤخذ منها ، وأئمة يقتدى بها في كتابة المصاحف جيلاً بعد جيل .

(١) المصاحف لابن أبي داود ص ٢٢ ، ٢٣ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ، ص ٥٤ ، وفتح الباري ج ٩ ، ص ١٨ .

(٢) المرشد الوجيز ص ٦٢ ، وانظر السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ج ١ ، ص ٢٣٩ .

أما عن هذه المصاحف بذاتها فقد ذكر بعض الرحالة والمؤرخين عن رؤيتهم لبعض منها .

فيحدثنا ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ في رحلته إلى الشام عندما زار جامع دمشق حيث ذكر أنه رأى في الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان ، وهو الذي أرسله إلى الشام^(١) .

كما أشار ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ إلى رؤيته له في رحلته إلى الشام^(٢) .

كما رأى النسخة نفسها ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ حيث قال : "وأما المصاحف العثمانية الأئمة ، فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق -عند الركن ، شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله- وقد كان قديماً في "طبرية" ، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمس مائة ٥١٨هـ ، وقد رأيت كتاباً عزيزاً جليلاً عظيماً ضخماً ، بخط حسن مبين ، قوي ، بحبر محكم ، في رق أظنه من جلود الإبل ، والله أعلم"^(٣) .

واستمر هذا المصحف محفوظاً في الجامع الأموي إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، ثم فقد هذا المصحف :

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٤٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ، ص ٥٤ .

(٣) فضائل القرآن لابن كثير من تفسير القرآن العظيم ج ١ ، ص ٣٤ .

فبعضهم يرى أنه احترق عندما احترق الجامع الأموي . يقول محمد كرد علي في حديثه عن الجامع الأموي : " حتى إذا كانت سنة ١٣١٠ هـ سرت النار إلى جذوع سقفه ، فالتهمت بها في أقل من ثلاث ساعات ، فدثر آخر ما بقي من آثاره ورياشه ، وحرق فيه مصحف كبير بالخط الكوفي ، كان جيء به من مسجد عتيق في بصرى ، وكان الناس يقولون : إنه المصحف العثماني^(١) ، وبعضهم يرى أنه نقل إلى إنجلترا^(٢) .

وفي مصر الآن مصاحف أثرية ، يقال إنها مصاحف عثمانية - في المسجد الحسيني ، ودار الكتب المصرية - ولكن يستبعد ذلك لوجود زركشة وزينة ونقوش فاصلة بين السور ، وعلامات لبيان أعشار القرآن ، ولا شك أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ، ومن النقط والشكل^(٣) .

وعلى أي حال فإن فقد هذه المصاحف لا يقلل من ثقتنا بما تواتر واستفاض نقله من المصاحف ، ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام ، وسواء أوجدت هذه المصاحف أم لم توجد فإننا على يقين بسلامة القرآن الكريم من الزيادة أو النقصان^(٤) .

(١) خطط الشام لمحمد كرد علي ج ٥ ، ص ٢٦٢ .

(٢) انظر : مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح ص ٨٨ .

(٣) انظر : مناهل العرفان ج ١ ، ص ٤٠٤ .

(٤) مدخل إلى القرآن لدرّاز ص ٤٠ .

وهكذا سجلت الأمة الإسلامية بحفظها القرآن الكريم في الصدور والسطور منذ نزول القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بصنيع أبي بكر، ثم بصنيع عثمان بن عفان رضي الله عنهم، مزية ليست لأمة غيرها، نقلوه عن الأصل المكتوب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومقابلة ذلك بما حفظوه في صدورهم، وبذلوا فيه كل عوامل الدقة والاستيثاق، فجاء كاملاً، محفوظاً، عزيزاً، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩). وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢).

الخانمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وبعد :

فقد تناول هذا البحث معنى جمع القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح، والمقصود بحفظ القرآن الكريم، ثم مراحل كتابته زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .
وظهر فيه ما يلي :

أولاً: أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له منذ أن كان في السماء، وفي طريقه إلى الأرض ، وحين نزل إلى الأرض .
ثانياً: أن كتابة القرآن الكريم زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مرت بمراحل ثلاث، كل مرحلة لها سمتها وخصائصها أوجزها بما يلي :

١- المراد بجمع القرآن الكريم في العهود الثلاثة :

- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم : حَفْظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وكتابته على الأدوات المتوافرة ذلك الوقت .
- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه : كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور .
- في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه : نسخ المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر في مصاحف متعددة .

٢- سبب الجمع :

- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمجرد كتابته وحفظه .
- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته ، حين كثر القتل بالقراء .
- في عهد عثمان رضي الله عنه لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة فأراد حسم هذا الخلاف بجمعهم على مصحف واحد .

٣- ترتيب الآيات في سورها :

- قدر مشترك في العهود الثلاثة ، إلا أنه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يربطها رابط ، لعدم تجانس الأشياء المكتوبة فيها .
- ٤- ترتيب السور كتابةً :

- في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مرتبة كتابة .
- وفي عهد أبي بكر وعثمان - رضي الله عنهما - فقد كانت مرتبة في جمعهما .

٥- تجريد الكتابة من المنسوخ تلاوة :

- قدر مشترك في العهود الثلاثة :
- ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لئلا يلتبس الناسخ بالمنسوخ .
- وفي عهد أبي بكر ؛ فلأن نزول القرآن قد اكتمل .
- وفي عهد عثمان ، فلأن المصاحف قد نسخت من مصحف أبي بكر وكانت خالية منه .

٦- كتابة القرآن في مكان واحد :

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان غير مجموع في موضع واحد .

وفي عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما كتب في مكان واحد .

٧- تجريد الكتابة من النقط والشكل :

قدر مشترك في العهود الثلاثة؛ لعدم وجودهما ذلك الوقت، وأفاد في كتابة القرآن الكريم بشكل يجمع القراءات المتعددة .

فهرس المصادر

- ١- الإِتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م.
- ٢- الإِصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن حجر العسقلاني، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ.
- ٣- أضواء على سلامة المصحف الشريف من النقص والتحريف د. زيد عمر مصطفى، نشر: مركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود سنة ١٤١٤هـ.
- ٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، نشر: مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م.
- ٥- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعرفة بيروت.
- ٦- البيان في مباحث من علوم القرآن، عبد الوهاب غزلان مطبعة دار التأليف.
- ٧- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثالثة.

- ٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر
نشر: دار التراث بالقاهرة.
- ٩- ترتيب القاموس المحيط للفيروزابادي، ترتيب: الطاهر الزاوي،
نشر: دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩هـ.
- ١٠- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق:
سامي السلامة، نشر: دار طيبة بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ.
- ١١- تلقيح فهم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لأبي الفرج
ابن الجوزي، نشر: مكتبة الآداب بالقاهرة.
- ١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، الطبعة
الثالثة سنة ١٣٨٨هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ١٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، نشر: دار
الكتاب العربي سنة ١٣٨٧هـ.
- ١٤- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد
شاكر، نشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية سنة
١٣٩٨هـ.
- ١٥- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، تحقيق:
د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.
- ١٦- جمع القرآن بين الحقائق الثابتة والشبهات الهابطة د. جمال
مصطفى، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ.

- ١٧- خطط الشام لمحمد كرد علي .
- ١٨- دراسات حول القرآن لبدران أبو العينين بدران، نشر: مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية .
- ١٩- ديوان حسان بن ثابت، نشر: عبد الرحمن البرقوقي .
- ٢٠- رحلة ابن بطوطة، مطبعة التقدم بمصر، الطبعة الثانية .
- ٢١- رحلة ابن جبیر، نشر: دار صادر، ودار بيروت سنة ١٣٨٤هـ .
- ٢٢- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم، نشر: حديث أكاديمي بالباكستان سنة ١٤٠٤هـ .
- ٢٣- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، دراسة وفهرسة: كمال الحوت، نشر: دار الجنان بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ .
- ٢٤- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر بيروت .
- ٢٥- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ .
- ٢٦- صحيح البخاري، نشر: المكتبة الإسلامية بإستانبول سنة ١٩٧٩م .
- ٢٧- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٠هـ .

- ٢٨- الضوء المنير على التفسير (تفسير ابن قيم الجوزية) جمع :
علي الحمد الصالحي ، نشر : مؤسسة النور بالرياض .
- ٢٩- علوم القرآن لنور الدين عتر ، نشر : دار الخير ، الطبعة الأولى
سنة ١٤١٤ هـ .
- ٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن حجر
العسقلاني ، نشر : دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية .
- ٣١- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق : وهبي
سليمان غاوجي ، نشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى سنة
١٤١١ هـ .
- ٣٢- في رحاب القرآن الكريم ، د . محمد سالم محيسن ، نشر :
مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٣٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير ، نشر : دار الكتاب العربي
بيروت .
- ٣٤- كُتَّاب الوحي د . أحمد عبد الرحمن عيسى ، نشر دار اللواء ،
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٣٥- الكشاف لجار الله الزمخشري ، تحقيق : عادل عبد الموجود
وعلي معوض ، نشر : مكتبة العبيكان .
- ٣٦- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن منظور ، نشر : دار
الفكر بيروت .

- ٣٧- مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة سنة ١٩٧٧ م.
- ٣٨- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، نشر: مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤١٣ هـ.
- ٣٩- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان محمد زرزور نشر: دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ.
- ٤٠- مدخل إلى القرآن الكريم د. محمد عبد الله دراز، نشر: دار القلم بالكويت سنة ١٤٠٤ هـ.
- ٤١- المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد أبو شهبه، نشر: دار اللواء بالرياض، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧ هـ.
- ٤٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: طيار قولاج، نشر: دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.
- ٤٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، نشر: دار المعرفة بيروت.
- ٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٣ هـ.
- ٤٥- المصاحف لعبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، نشر: مؤسسة قرطبة بمصر.

- ٤٦- المصباح المضي في كتاب النبي العربي، لابن حديدة الأنصاري،
طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٩٦هـ.
- ٤٧- معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار، وعبد العال مكرم،
نشر: جامعة الكويت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ.
- ٤٨- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، نشر: مكتبة المثنى، ودار
إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٩- مفاتيح الغيب للفخر الرازي، نشر: دار الفكر بيروت، الطبعة
الأولى سنة ١٤٠١هـ.
- ٥٠- المفردات للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٣٨١هـ.
- ٥١- المقنع لأبي عمرو الداني تحقيق: محمد أحمد دهمان، نشر:
دار الفكر دمشق.
- ٥٢- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني،
مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثالثة.
- ٥٣- موجز علوم القرآن د. داود العطار، نشر: مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩هـ.
- ٥٤- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تخريج: محمد فؤاد عبد الباقي،
نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤٠٦هـ.
- ٥٥- النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز، نشر: دار القلم
بالكويت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ.

٥٦- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، نشر: دار الكتب العلمية بيروت .

٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، نشر: دار الباز بمكة المكرمة .

الفهرس

٤٦١	المقدمة
٤٦٣	المبحث الأول : معنى جمع القرآن الكريم
٤٧٠	المبحث الثاني : حفظ القرآن الكريم
٤٧٤	المبحث الثالث : كتابة القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ
٤٩٦	المبحث الرابع : جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر
٥١٢	المبحث الخامس : جمع القرآن الكريم في عهد عثمان
٥٢٨	الخاتمة
٥٣١	فهرس المصادر
٥٣٨	الفهرس